سنوات في قلعة الخطيئة

الفصل الأول

من الفن إلى السياسة وبالعكس

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

في السياسة الكذب هو سيد الأخلاق، والطريق إلى الجنة فيها مفروش بالمراوغة واللؤم.. في السياسة الحب انكسار والقسوة هي شعلة النجاح.. في السياسة لو استكنت للأحلام لكانت النار هي مثواك... في السياسة الموسيقي لا تصدع، وإن كان لها مجال فلا وقت إلا للآلات النحاسية أو الضرب علي الدفوف.. في السياسة إما قاتل أو مقتول.. أما في الفن فالأمر جد مختلف.. لأن في الفن الصدق هو سيد الأخلاق والتاج الذي يوضع علي رأس نجومه، يكبر وينمو ولهذا أحببت الفن وكرهت السياسة وهتفت طويلاً يحيا الفن وتسقط السياسة ليعيش الصدق ويموت الكذب. ولتعيش الأحلام ويموت الواقع.

ولكني اكتشفت مع مرور الأيام والسنوات أن السياسة والفن وجهان لعملة واحدة وبالتالي من يجيد تحليل الفن يستطيع أيضًا بسهولة أن يرصد أحوال السياسة ففي الحالتين أنت تتعامل مع نجوم صف أول وثاني أحيانًا ومع كومبارس غير متكلم ، في السياسة والفن هناك مخرج ومؤلف لأي مشهد وهناك جمهور متلقي ، في السياسة كلما ارتفعت درجة حب الجماهير للنجم أو الزعيم تغاضوا عن مساوءه حتى حين ، وفي الفن يغفر الجمهور لنجمه أخطاؤه أيضًا حتى حين ، وفي السياسة الأضواء والشهرة والمال تعمي الأبصار وهو نفس منطق الفن ، السياسة في معناها الحقيقي هي مداعبة أحلام الجماهير وآمالهم وهل الفن إلا ذلك .

ولكن علمتني الأيام والسنوات أن في مصر الناس في الشوارع وسياستهم وفنهم

يشبهون بعضهم لبعض حتى إن أحياناً تختلط الكتابة عن الثلاثة فلا تستطيع أن تفصلهم، ولهذا أزعم أنه كان يصعب بل يستحيل عليّ أحياناً أن أفصل بين التعليق على أحد الأفلام السينمائية أو إحدى الظواهر الغنائية أو المسرحية مثلاً وبين قرار سياسي ملازم له أو ظاهرة اجتماعية تجتاح الحياة في شوارع المحروسة.

ولهذا فكنت دائماً أجد نفسي مضطرة إلى أن أعرج في كتابتي عن الفن إلى السياسة أو الاقتصاد والعكس صحيح. فوجدت نفسي دون قصد ونية مسبقتين أتحدث في السياسة وأكتب عنها فإن ارتقاء الفن لا يمكن أن يكون إلا إذا ارتقى أهل السياسة في هذا البلد وهو ما لم يحدث حتى الآن!!

ويوم أن يتذوق أهل السياسة والاقتصاد والحل والربط في هذا البلد الفن الراقي ويكونوا من أنصاره ثق أننا كمواطنين سنكون أكثر سعادة وشعوراً بالعدل وبالتالي أكثر أملاً وحلماً وتفاؤلاً بالمستقبل.

وكان خوفي وأملي كبيرين في زمان تفاهة السياسة فما بال خوفي الآن أكبر فبعد الثورة وصعود دور الإسلام السياسي صار حديث تحريم الفن ورجم أهله أعلى صوتًا فانتقلنا من زمن التفاهة السياسية والفنية إلى زمن التحريم باسم الله فماذا سيكون حالنا؟ وما ستقرأه من صفحات قادمة هو شهادتي عن زمن مضى حتى لا ننسى .

الأحلام

في الزمن الصعب حين يقسو الواقع علينا وتحاصرنا الهموم فلا تترك لنا إلا ثغرة بسيطة لمرور الحلم، تصبح الأحلام هي الفرصة الوحيدة المتاحة للتوازن وللحياة، أما أن تفر الأحلام فهذا هو الموت بعينه، ولأني مازلت أشعر بدبيب خافت للحياة بداخلي فكما آخرون لم تخاصمني الأحلام بعد ولايزال عندي منها البعض، أحلم أن تعود القدس على يد صلاح الدين، أحلم أن أرى جيشا للعرب، ومقعدا دائما في مجلس الأمن، أحلم أن أسافر من طنجة إلى صنعاء بلا جواز سفر، أحلم بأن أجد في بطاقات انتخاب الرؤساء العرب خمسة أسماء أو حتى ثلاثة نختار منها من نشاء.

أحلم أن أكتب ما أشعر به ويشعر به مثلي الملايين فأجد من يهتم ويرد بداية من الوزير حتى الغفير، أحلم أن أسير في شوارع تكسوها الخضرة، وألا أسمع صوت نفير سيارة، أحلم أن أرى شرطي المرور يبتسم، أحلم ألا أرى طفلا يتسول في الشارع أو ينام على الرصيف، أحلم ألا أخاف على أبنتي حتى وهي ابنة السبع سنوات من الاغتصاب، أحلم وأنا أسير في الشارع ألا يتخطاني الآخرون ويدوسون على قدمي ثم يعتذرون، أحلم أن أرى أبنائي حولي حين أكبر لو امتد العمر بي ولا يتركوني حين تتبدل الأدوار وأكون أنا من أحتاجهم، أحلم ألا يموت أحد تحت عجلات قطار وعرباته لأن الكل يحترم الطريق.

أحلم أن أجد صديقة تقف إلى جانبي في محنة، أحلم أن أجد جارا يهنئني بعيد، أحلم أن تكون مدرسة ابني عونا لي في تربيته وليس العكس، وأحلم أن يكون مدرسه مثله الأعلى وليس العكس. أحلم أن أفتح التليفزيون فلا يصيبني الاكتئاب من سماع نشرة الأخبار.. أحلم أن تبقى عندي القدرة على الحلم في زمن عز فيه الحلم حتى إنني تعبت حتى أفكر فيما أتمنى أن أحلم.

مجلة الغد العربي - يناير ٢٠٠٠

الرنتيسي مات وتامر حسني في المنوعات

في الثمانينيات من القرن الماضي كتب محفوظ عبدالرحمن مسلسلاً باسم الكتابة على لحم محترق وأخرجه مخرج فلسطيني اسمه عباس أرناؤوط. وقد تذكرت هذا الاسم لأنه الاسم الوحيد الذي سأستعيره لوصف حال من يمتهن الكتابة في الفن، وعلي الفن مثلي في هذا الزمن فليس أمامنا إلا أن نكتب على لحم محترق. ففي ليلة السبت ١٧ أبريل بينما كان فريق من شباب أطباء الأرض المحتلة يحاولون إنقاذ رجل تعلم في مصر وشب فيها اسمه عبدالعزيز الرنتيسي، وبينما شوارع غزة تموج بعشرات الآلاف من الغاضبين المقهورين لمقتل الرجل.. ستوب بلغة السينما ننتقل إلى مشهد آخر... على القناة الأولى للتليفزيون المصري نرى فيديو كليب، أما الثانية ففيها شاب مذيع لا أعرف اسمه ولكن به كثير من المياعة يقدم برنامج مسابقات متخلفاً، والقناة الثالثة تذيع حلقة من مسلسل عربي أما الرابعة فتقدم برنامج «الرياضة للجميع» أما القناة الخامسة فتقدم برنامج «أهلاً وسهلاً» مع ضيف يتحدث في الطب، وتقدم القناة السادسة برنامج «صحفي وفنان» في حوار بين الفنان محمد الصاوي والفنانة وفاء الحكيم. والقناة السابعة تقدم مباراة كرة قدم، والثامنة تقدم حواراً من حلايب وشلاتين عن البيئة...

المشهد الثالث الفضائيات، فعلي قناة المنوعات المصرية حوار مع المطرب الشاب صاحب الكرش الحديث تامر حسني يتلقى مكالمات من الجمهور كلها تشيد بعظمة فنه، لدرجة أن أحد الشباب قال له إن شريطه الجديد جامد جداً وأنه أجمل شيء حدث له هذا العام آي والله هكذا قال، أما الحرة قناة أمريكا الناطقة بالعربية فتعرض لمسيرة أحد فناني السينما الأمريكية - ستوب انتقاله سريعة على طريق محور ٢٦ يوليو، السيارات متراصة

بالمئات تسير ببطء في طريقها إلى مدينة الإنتاج الإعلامي، وهي تحمل كريمة المجتمع وكل الشباب الروش طحن في طريقه لحضور حفل يضم نانسي عجرم والشاب الإسباني الأمريكي إنريكو إجليسياس بعد أن دفع أفقرهم ٢٥٠ جنيهاً فقط لا غير، وأغناهم ٣٠٠ جنيه فقط لا غير، وأفقرهم هذا سيشاهد الحفل واقفاً لمدة ثلاث ساعات أو أكثر، أما أغناهم فمسموح له بالجلوس أمام المطرب العالمي لأنه دفع ما يؤهله للجلوس.

ستوب... تنتقل الكاميرا إلى المدينة الجامعية لجامعة الأزهر، حيث خرج آلاف الطلبة الذين يمثلون أفقر فئات المجتمع المصري في مظاهرة داخل حرم المدينة الجامعية محاصرين بالأمن... cut أو قطع لنهاية المشهد كله..

هذه هي تفاصيل مشهد ليلة ١٧ أبريل عام ٢٠٠٤ بكاميرا لا يجد من يكتب في الفن إلا أن يصورها هكذا ثم يكتب على لحم يحترق.

جريدة الميدان – أبريل ٢٠٠٤

obeikan.com

أحلام بدون رقابة

صحوت من نومي كما صحوتم جميعا لنجد أنفسنا، برغم أننا ما نمنا إلا ساعات، وقد أصبحنا في عام غير العام وفي زمن غير الزمن الذي نمنا فيه، فكأننا أصحاب الكهف ولكننا صحونا علي كل حال وكعادة كثير من البشر بدأت يومي بقراءة سريعة للصحف جمعت لكم منها أجمل الأخبار الجديدة لكي أوفر عليكم الوقت والمال في تصفح كل ما قرأت، فبالتأكيد لاكتفاء بقراءة صحيفة واحدة جامعة شاملة أسهل وأوفر من التعددية، فأبشروا أنه يوم حديد وأخبار سعيدة وإليكم نصها:

- أصدر وزير الثقافة «بدون تحديد لاسمه» قراراً بتحويل القاعات الموجودة في كل قصور الثقافة في مصر المحروسة إلى دور عرض سينمائية من الدرجتين الأولى والثانية وسعر التذكرة فيها من ستة إلى ثلاثة جنيهات، وبذلك زادت دور العرض السينمائية في مصر إلى ١٢٠٠ دار عرض، وبذلك ستستطيع الأفلام المصرية تغطية نفقاتها وزيادة أرباحها إلى معدلات كبيرة.

- البدء في تصوير ٦٠ فيلماً أغلبها مأخوذ عن روايات أدبية ودخول ١٠ كتب سيناريو جدد إلى المضمار السينمائي، وكذلك ٧ مخرجين جدد، الأعمال مأخوذة عن روايات لإبراهيم عبد المجيد وعلاء الأسواني ونجيب محفوظ وأعمال أخرى لأدباء شبان يكتبون الرواية لأول مرة.

- لأول مرة في التاريخ الحديث استطاعت الدول العربية الاجتماع علي فعل حقيقي ومؤثر، فقد بدأ بث أول قناة تليفزيونية فضائية تشارك فيها كل الدول العربية برأس المال

والخبرات ولم يصرح أحد من وزراء الإعلام العرب ضمن تصريحاته بكلمة الريادة!! وحتى الآن تسير الأمور بشكل طبيعي دون مشاكل متوقعة، القناة الجديدة هدفها تقديم صورة مخالفة عن العرب بالنسبة للعالم العربي وتبث برامجها بثلاث لغات في العربية والإنجليزية والفرنسية.

- وزير الإعلام يصدر قراراً بعدم تجاوز حلقات المسلسلات التليفزيونية ١٥ حلقة وبمحاكمة كل مخرج يمط المسلسلات وعقابه بعدم العمل لمدة ثلاثة أعوام وإجباره على مشاهدة مسلسله سبع مرات متتالية!!

- تم إصدار قرار من جامعة الدول العربية واجب النفاذ بمنع عدد ممن يطلق عليهم مطربين من الغناء إلا لأنفسهم في الحمام، أمثال نجلا وبوسي سمير وجاد شويري وآخرين وعلى من يسمعهم في غير هذا الوضع أن يبلغ عنهم أقرب قسم بوليس في أي دولة عربية!!

- تقيم المطربة فيروز بمناسبة بلوغها العام السبعين حفلات غنائية ضخمة في عدد من البلدان العربية من أجل استعادة آذان العرب للتوازن السمعي.

- انتقال هالة سرحان من قناة روتانا إلى العمل بقناة الجزيرة القطرية.

- أوبرا وينفري مذيعة التليفزيون الأمريكية الأكثر شهرة في العالم تقرر أن تقدم برامجها من المنطقة العربية لمدة عدة أشهر فتنتقل إلى الإقامة في بغداد.

- بدء تصوير فيلم سينمائي يحكي قصة وفاء قسطنطين المرأة التي حصلت على جائزة عالمية في حقوق الإنسان هذا العام، تقوم بالبطولة يسرا في دور وفاء ويخرج الفيلم داود عبد السيد ويكتب له السيناريو هاني فوزي كاتب فيلم بحب السيما.

- اعتزال عدد من نجمات السينما والفن منهن نبيلة عبيد ونادية الجندي وفيفي عبده وإلهام شاهين بعد مشاركتهن في فيلم واحد أعلن أنه سيكون فيلم اعتزالهن ثم تفرغهن لكتابة مذكراتهن وتصويرها للمحطات الفضائية!!

- خناقة حامية الوطيس بين مصطفى محرم ونور الشريف تسفر عن إعلان اعتزال مصطفى محرم الكتابة السينمائية والتليفزيونية، واعتذار معلن من نور للجمهور عما قدمه

من أعمال فنية كتبها له مصطفى محرم وكان آخرها مسلسل عيش أيامك.

- وزير الإعلام أصدر قراراً بمنع فقرات الربط في التليفزيون والاكتفاء بالتنوية الصوتي وإرسال عدد كبير من مذيعات التليفزيون في بعثات للخارج على ألا يعدن لأرض الوطن ثانية إلا بعد التأكد من قدرتهن على العمل، وألا يبقين في بلاد الفرنجة كنوع من النفي الإجباري والعقاب غير المباشر للدول الأجنبية المعادية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا التي تم إرسالهن إليهما وبدورهما أرسلوهن لمعتقلات جوانتنامو.

- بعد أن زادت مرمطة اللغة العربية على يد المطربين ومنتجي الكاسيت من خلال كتابة أسماء الشرائط بطريقة خاطئة أو ما يطلقون عليه لبننة اللغة العربية مثل الألبوم الأخير لعاصي الحلاني الذي ظهر باسم زغيري الذي مما أدى إلى حدوث مشاكل في المدارس بين مدرسي اللغة العربية والأطفال في المدارس الذين يصرون على كتابة صغيرة بالزين وليس بالصاد، والدنيا بالياء وليس بالألف وغيرها من الأخطاء مما اضطر مجمع اللغة العربية إلى إصدار قرار بتغريم أي شركة كاسيت أو مطرب يغير من الكتابة الصحيحة للغة في الألبومات الغنائية.

- ممدوح موسى صاحب برامج التليفزيون المنوعة الذي ارتبط اسمه بكثير من النقد مما دفع وزير الإعلام لرفض عرض برنامجه في رمضان الماضي، أعلن حالة العصيان المدني والإضراب عن الطعام حتى ينظر الوزير في أمره.

هذه بعض من عينة الأخبار الفنية التي احتوت عليها صحف العام الجديد، وقد فضلت أن أنقلها لكم دون غيرها من الأخبار السياسية أو الاقتصادية لأن في السياسة والاقتصاد هماً لا يسر عدواً ولا حبيباً، أما الفن فهو الواحة التي يستريح على أكتافها المتعبون، فهل نستريح نحن الراضين بقضاء الله وقدره وعباده الحاكمين أو على الأقل نحلم بالقليل الذي قد يسعدنا بما أنه حتى الآن رقابة ولا حدود للأحلام.

جريدة صوت الأمة - يناير ٢٠٠٥

راي تشارلز يكشف خطايانا

في السياسة الكذب هو سيد الأخلاق، والطريق إلى الجنة فيه مفروش بالمراوغة واللوم، في السياسة الحب انكسار والقسوة في شعلة النجاح والحلم هو النار.. في السياسة الموسيقى لا تصدع وإن كان لها مجال فلا وقت إلا للآلات النحاسية أو الضرب على الدفوف.. في السياسة إما قاتل أو مقتول.. أما في الفن فالأمر جد مختلف بل هو النقيض ففي الفن الصدق هو سيد الأخلاق والطريق إلى جنته مفروش بالأحلام.. في الفن الحب هو شعلة نجاحه وفيه الموسيقى من كل لون وعلى كل الأنغام.. ولهذا فليحيا الفن ولتسقط السياسة ليعيش الصدق ويموت الكذب، ولكن في بلادنا اختلطت السياسة بالفن حتى تاهت الخطوط الفاصلة بينهما فلا السياسة تبدو فيها كما هي في بلاد أخرى أهلها صفُر الشعور وملوني الأعين ولا الفن لدينا أصبح يشبه فنونهم، ببساطة لأننا خلطنا الأوراق، تلك المقولة كانت هي الشيء الوحيد الذي نغص على مشاهدتي لفيلم راي المرشح لست جوائز والمأخوذة عن حياة الموسيقي الأمريكي العالمي راي تشارلز الذي توفي العام الماضي.

لقد ولد هذا الموسيقي الأسطورة في سبتمبر ١٩٢٠، في ولاية جورجيا جنوب الولايات المتحدة وعشق الموسيقى من خلال الألحان الدينية التي كان يسمعها في الكنيسة، وقبل أن يتم الخامسة كان قد تعلم العزف على البيانو وبعد ذلك حدثت المأساة في حياته بموت أخيه الأصغر أمام عينيه غرقاً ثم فقده البصر، ولكن أمه الفقيرة الجاهلة كانت سيدة عظيمة علمته ألا يعيش الحياة كمعوق وأرسلته للتعلم بعيداً عنها برغم الفقر والعاهة إلى أن تحول إلى أسطورة برغم إدمانه الهيروين الذي زج به إلى فضيحة مدوية

وسجن، وحين شعر أن الموسيقى ستضيع من حياته طلب العلاج وعاد إلى فنه حتى مات العام الماضي تاركاً وراءه ١٢ ابناً وعدداً من الصديقات قدروها بـ١٨ صديقة ومليارات تبرع بأغلبها للأعمال الخيرية منها ١٠٠ مليون جنيه للأطفال الصم لأنه كان يرى أن فقد البصر لا يوازي شيئاً إلى جانب فقد السمع الذي من الممكن أن يحرم الإنسان من سماع الأصوات وخاصة الموسيقى.

حياة حافلة بالكفاح ولكن بها أيضاً كثير من النقائص والضعف والفضائح كحياة كل منا التي تحمل هذا وذاك، وتلك هي النقطة التي استوقفتني لم قبل رأي تشارلز هذا الفيلم الذي يحكي عنه بصدق بل إنه بارك صناعه وقال: «أنا على يقين بأن تيلور (مخرج الفيلم) أنجز عمله بنجاح وصور حياتي كأفضل ما يكون» لم لم يرفع الرجل قضية على صناع الفيلم لأنهم فضحوا مساوئه قبل محاسنه، لم لم يطلب ورثته أن يظهر كملاك وإلا جرجروا صناع الفيلم إلى ساحات المحاكم، ببساطة لأنهم صادقون في فنهم لهذا تخرج علينا أعمالهم عظيمة نصدقها ونحبهم كما هم بنقائصهم قبل مزاياهم لأننا على يقين بأن الله قد ألهم كل نفس فجورها قبل تقواها، ولكن هذا يقيننا مع الغير أما فيما يخصنا فأتوا لي بفيلم أو كتاب أو مذكرات لأحد المشاهير وأقسموا أنها الحقيقة لتدخلوا النار لأنها مزيفة كاذبة، نحن شعوب تدمن الحقيقة لدي الغير وتدمن الكذب حين يخصها الأمر، ترى كيف سيظهر حليم في الفيلم الذي يصور عن حياته هل سيقترب من قريب أو بعيد لنقائصه، لمكائده مع الآخرين لكذبه الذي قالوا عنه إنه أبرع فيه من الصدق؟ أليست هناك عشرات القضايا المرفوعة على كتّاب من ورثة مشاهير لرفضهم تصوير قصة حياتهم برغم أنني على يقين أن الكتاب ذاتهم الذين يدافعون عن حقهم كاذبون هم أنفسهم ولن يكتبوا الحقيقة عن سيرة يتناولونها ببساطة لأن الكل كاذب الورثة والكتاب والمشاهدون أنفسهم سيرفضون الصدق.

أليس مسلسل أم كلثوم الذي كتبه المبدع محفوظ عبد الرحمن مثالاً على ذلك، لقد احتفى به الجميع مبدعون وجمهور برغم أنه لم يحك لنا بالفعل عن أم كلثوم التي بدت وكأنها كاملة الأوصاف وهي لم تكن كذلك مثل كثيرمنا؟! أليس كل قصص مشاهيرنا فنانين أو سياسيين كفاحاً دون نقيصة واحدة توحد الله وكأنهم ملائكة مجنحون نزلوا

على الأرض؟ ألم تقم الدنيا ولم نقعد حين نشرت إحدى الجرائد اليومية المستقلة الشهادة الدراسية لعبد الناصر حين كان طالباً في المدرسة لتقول الدرجات إنه لم يكن طالباً مجرد طالب أقل من متوسط الدرجات؟! أليس نحن الشعب الذي أبدع عبارة الحفاظ على الرموز حتى بالكذب إلى أن حولنا هذه الرموز إلى مقدسات تتساوى مع السنة والشريعة وقام منا من أراد اغتيال عمرو دياب لأنه أعلن في حوار له عن رأيه في رموزنا الغنائية مما أضطره لأن ينكر ذلك ويستغفر بالكذب عن الصدق؟!

تلك هي الحكاية التي نغصت على مشاهدتي لفيلم رائع عن رمز أمريكي للموسيقى ولكنهم قبلوا أن يظهروه على حقيقته عبقري نعم ولكنه مدمن وحقير في علاقاته مع النساء، وضعيف أمام نزواته، ورغم ذلك ظل وسيظل رمزاً لصدقهم الذي نحترمه ولا نحتمله لتظل رموزنا كاذبة مثلنا.

جريدة صوت الأمة – فبراير ٢٠٠٥

الملك ممنوع من التصوير

مات جاهين الذي قال: «الشوارع حواديت.. حوادية الحب فيها.. وحوادية عفاريت» ولكن بقي المعنى رغم موت صاحبه، وكما الشوارع حواديت فالحياة أيضا مجموعة من الحواديت ولدي هذا الأسبوع بعض منها فتعالوا إلى الحكاية الأولى.. هل تصور يوماً ملك مصر المخلوع فاروق الأول أنه سيطرد من قصوره الملكية حياً وميتاً؟ هل لو حكى له عراف وهو في سن التاسعة عشرة غضاً غريراً يتسلم حكم مصر والسودان، ما حدث له من أحداث في حياته، ترى هل كان سيصدقه أم كان سيأمر بقطع رقبته في ميدان عابدين لأنه كذاب أشر؟

حكاية هذا الملك هي قصة للمؤرخين وعظة للمؤمنين وتحليل للسياسيين وفيلم للسينمائيين، وأما الفيلم فله حكاية غريبة كصاحبه، فمنذ أكثر من ثلاث سنوات قرر المخرج العالمي كريستوفر مايلز الحاصل على أكثر من ترشيح لجائزة الأوسكار، أن يخرج فيلماً باسم «الفرعون الأخير» عن السنوات الأربع الأولى في حياة فاروق ملك مصر والسودان، وكيف شكلت هذه السنوات وعي الملك الجديد وغيرته، وكيف كانت هي برغم قتلها سببا من أسباب نهايته - رصد ميزانية كبيرة للفيلم وكان من الطبيعي أن يلجأ المخرج العالمي إلى مصر طالب التصوير فيها واتفق بالفعل مع مدينة الإنتاج الإعلامي على استخدام بعض من إمكانياتها في التصوير، ومر بكل المراحل المزعجة للتصوير بمصر من رقابة على النص وميزانيات تصوير مرتفعة جداً بالمقارنة لمناطق أخرى في العالم ومشاكل أخرى لا نهاية لحصرها، ولكن ظل الحاجز الذي يقف أمامه هو طلبه للتصوير في بعض القصور الملكية لمدة خمسة أيام حجر عثرة في طريق بداية تصوير الفيلم،

سلك الرجل كل السبل دون مجيب، ولأنقل لكم الصورة سأورد ما ذكره بالنص في خطاب أرسله للمكتب المسئول عن أعماله في مصر بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠٠٥.

«لقد تحدثت إلى نيكي بيري، الذي يظن أنه لا سبيل لحل مشكلتنا إلا أن آتي أنا وهو إلى مصر لمقابلة الرئيس أو ربما ابنه ربما نستطيع أن نحصل منهما على الموافقة على التصوير في القصور الملكية السابقة، هل تعلم أن دافيد أمبروسي وهو كاتب عظيم وصديق لي يكتب حالياً فيلماً من جزءين للتليفزيون الفرنسي عن رمسيس الثاني ولكنه مهموم، كلما يفكر فيما يحدث لي وهو نفس الأمر فلو أن فيلم «الفرعون الأخير» استطاع التصوير ستنتشر الأخبار السعيدة وسيرتاح الرجل أما الآن فلا أمل. شكراً على مجهوداتكم وكما تقول وتتمني سنفوز إنشاء الله». وفي جزء آخر من الخطاب يقول كريستوفر مايلز: (أتساءل لماذا يبتعد السينمائيون عن التصوير في مصر أولاً: رغم أنني أتفاوض لمدة ثلاث سنوات حول هذا الأمر فإنني لم أحصل على التصريحات بعد). ثم يستكمل خطابه إلى ما لا نهاية من أسباب عذاباته بالنسبة لمصر.

يا دي المصيبة التي تحيط بنا في كل مجال. ففي الوقت الذي يتقابل فيه الملك عبد الله ملك الأردن مع مجرد مخرج اسمه ريدلي سكوت يقولون عليه مخرجاً عالمياً ويطالبه بتصوير أعماله في الأردن، ويجلس الملك ابن الملوك كمذيع على قناة civilization channel، ليقدم بنفسه برنامجاً لمدة ساعة ليروج لبلاده على شاشات التليفزيون، وفي ذات الوقت الذي يفتح ملك المغرب بلاده على مصراعيها لتصوير الأفلام العالمية مما يدعم صناعة السينما المغربية، ويضع اسم المغرب على رأس قائمة الأماكن المنافسة لاستديوهات هوليوود، وفي نفس الوقت الذي يطالب فيه رئيس الوزراء النيوزيلندي بزيادة الفنادق والحجرات السياحية بأكثر من ألف غرفة لزيادة السياحة في نيوزيلندا بعد أن تم فيها تصوير فيلم The Ring أو الخاتم، في نفس الوقت ويعكس كل منطق نجد أنفسنا في بلد طارد لكل خير وشر، للأسف مسئولون لا يعرفون أن كلمة منهم ندفع جميعاً ثمنها، مخرج عالمي سيصور فيلمه في مصر عن ملك مصري ندفعه لأن يطلب مقابلة رئيس الجمهورية لحل مشكلته ما هذا الهراء والترفع والغباء في معالجة بيروقراطية تخنقنا ثم نعود لنولول أن المغرب تسحب من تحت أقدامنا البساط، دبي بمدينتها الإعلامية

ستسحقنا، ونحن أصحاب الريادة والصدارة والتاريخ والجغرافيا.. بلا هم لا تاريخ ولا جغرافيا ولا سيادة وريادة تشفع لنا، ما نحن فيه لأنه من صنع أيدينا لو طفش الرجل ومن مثله ولحق بمن سبقوه مثل سبعة أفلام أخرى طفشت من التصوير في مصر واتجهت للمغرب، فلا ذنب لهم فكم فقدنا من ملايين أو حتى آلاف الدولارات ومكسب لعمالة مصرية ستصاحبهم ودعاية مجانية لمصر

الفنانون المصريون في دافوس

يسرا وروبي وشريف صبري وحسين فهمي وعمرو دياب كانوا ضمن الوفد المصري المرافق للدكتور أحمد نظيف رئيس الوزراء في تجمع دافوس الاقتصادي، هذا هو الخبر الذي لم تنشره الصحف في بداية توجه الوفد إلى سويسرا وحين تم نشره، حوله البعض لنكتة وآخرون حولوه إلى قضية وتساؤل في مجلس الشعب وما بين السخرية والتعجب والاستهجان أتعجب في أننا عدنا ثانية لما يطلقون عليه «نقطة الصفر» أو البداية حين كان يطلقون على الممثل خاصة والفنان عامة مشخصاتي، ولا يقبلون بشهادته في المحكمة، ثم مر زمن طويل وعمل شاق حتى استطاع الفنان أن يحظى باحترام وقبول داخل المجتمع حتى إن ممثلا كحمدي أحمد استطاع أن يصبح عضو مجلس شعب، ورونالد ريجان رئيس جمهورية، فلم نستكثر اليوم أن يكون بعض من فنانينا ضمن وفد يمثل مصر، أليسوا مواطنين مصريين يمثلون شريحة ما؟ ولم نقبل أن تكون أنجلينا جولي وروبرت ريد فورد وممثلون آخرون ومطربون جزءا من وفد أمريكا ولا نقبل نفس الشيء من فنانينا؟أعتقد أن جزءا من ذلك يعود إليهم وإلى الشكل العام الذي رسموه لأنفسهم عكس صورة الفنان الأمريكي الذي قد تكون أخبار فضائحه جنبا إلى جنب مع أخبار مساهماته في قضايا بلاده وقضايا العالم، فكم فنان أمريكي تبرع من أجل تسونامي وقبلها ضحايا ١١ سبتمبر، وطبعا لا أطالب أعود بالله بتبرع فنان مصري لتسونامي ولكن القصد أن شكل الفنان في الغرب لدى العامة يحمل أكثر من وجه، أما عندنا فله وجه واحد مشخصاتيه وعوالم جمع عالمة من عالم الرقص، وظلم كل مشاركون فيه حتى الحكومة التي طلبت حضورهم في المؤتمر بشكل رسمي لم يعلم الناس ولا الإعلام بشكل واضح وصريح أن جزءا من المؤتمر فيه جانب ترويجي رسمي مسئولة عن ذلك، فبدت وكأنها تتحرج من هذا

الإعلان وكأنها تفعل فضيحة في الظلام وهو ظلم بيّن للفن والفنانين الذين يمثلون، ربما أحيانا أفضل ما لدى مصر من عناصر للتصدير، ولكن في بلد يناقش حرمة الفن والسينما النظيفة وفي حكومة مهملة لم يعد فيها لطلعت حرب من وجود إلا في ميدان بوسط البلد، ومع إعلام يهمش صفحات الفن ويحولها لصفحات فضائح وأخبار عبيطة، وفنانين لم يعد لأغلبهم هم إلا لقمة العيش أو البقلاوة مثلنا جميعا، لا تتعجبوا أن يستهجن ويعترض ويسخر الجميع من الخبر الموجود في بداية الموضوع.. كلاكيت ثاني مرة ألفنان مشخصاتي لا تقبل شهادته في المحكمة.

جريدة صوت الأمة – فبراير ٢٠٠٥

ليلة القبض على أيمن نور

لمع اسم أيمن نور في كل عناوين الصحف ونشرات الأخبار وتصريحات المسئولين الأمريكيين والأوربيين فجأة.. تردد اسمه على مستوى الدنيا كلها.. في طرقات الكونجرس ومظاهرات الشوارع وصفحات الجريمة والقضايا.

انقسم الناس حوله.. هل هو بطل أم مغامر؟ هل هو مذنب أم بريء؟ وكان هناك طرف ثالث يرى أن كل ما يجري هو كله مسرحية عبثية.. هزيلة.. جرت كتابتها وتمثيلها باسم الديمقراطية.

أما أنا فاسم أيمن نور عندي مسار لحظة تاريخية ما تصورت أن أعيشها، فقد تربيت ونشأت في بلد لم يعرف بديلا عن رئيس يستفتون عنه بكلمة نعم، ومن طول ما عشت هكذا حين لاحت لي لحظة اختيار على الأقل نفسي وليس على مستوى فعلي، وجدت نفسي كملايين المصريين في مأزق، فأنا ما تعلمت الاختيار. ولا مارست حتى حريته ولكني الآن أمام سؤال صعب، سؤال يتعلق بمرشح للرئاسة متهم بالتزوير.. فهل جاءت لحظة اختياري وأنا في هذا المأزق؟

لقد توقفت عند كوني مواطنة مصرية يقولون لي إنهم سيعطونها الحق في اختيار الرئيس.. فهل أستطيع أن أختار؟

في هذه اللحظة من الهرولة الصحفية والشعبية وحتى العالمية يدق رنين هاتفي لتطلب مني دنيا أباظة رئيسة تحرير مجلة «كليو» التي تصدر شهرياً بالإنجليزية والتي أكتب فيها أحيانا أن أقابلها يوم الثلاثاء (الماضي) في الساعة الواحدة ظهراً لإجراء حوار مع أيمن

نور في بيته.

أخيراً.. سأجد نفسي أحاور شخصاً يرشح نفسه رئيساً لمصر؟ لقد حاورت كثيرين من المشاهير وصناع القرار والمؤثرين فيه، لكنها المرة الأولى التي أجد نفسي فيها أمام مرشح الرئاسة.. مهما كانت صفاته، وتصورات الناس والنيابة العامة عنه!

تقابلت مع دينا أباظة ومصور المجلة أمام إحدى عمارات الزمالك الكبيرة، حيث صعدنا للدور الثامن الذي يقطن فيه أيمن نور وعائلته. مدخل الشقة التي تقع في دور كامل ضيق ولكن يزداد إحساسك بضيقه من كنبة موضوعة فيه ونجفة ضخمة جدا ليس مكانها بالتأكيد مدخل شقة، وقبل أن ندق الباب فتحته فتاة تبدو كشغالة في البيت تصورتها سودانية ولكنها بعد ذلك قالت لي: إنها صومالية.

مدخل الشقة ضيق تماماً كخارجها ويبدو أيضاً ضيقاً بسبب أربعة تماثيل ملونة كبيرة الحجم غالباً مصنوعة من الجبس وملونة لتبدو لغير العارفين وكأنها قديمة، أي أنتيك.

بعدها صعدت عدة درجات سلم لندخل إلى بهو الشقة التي بدت فسيحة جداً وللنظرة الأولى تبدو فخمة ومكتظة بالمفروشات، دخلنا وجلسنا ننتظر أن يظهر لنا أحد من أهل البيت: أيمن نور أو زوجته جميلة إسماعيل، مما أعطاني الفرصة أن أدور ببصري في المكان لأتعرف أكثر على أصحابه، إنك بالتأكيد تستطيع أن تعرف كثيرا عن الناس من بيوتهم وهنا أستطيع أن أقول: لو أننا قرأنا شخصية أيمن نور وزوجته من بيتهما لقلت إن اهتمامها الأول ينصب على إعطاء إحساس لمن يدخل البيت بالثراء.. خاصة إذا مددت بصرك إلى شرفة الصالون لتجد «رووف» كبيرا به حمام سباحة وحوله عدة مقاعد ومناضد مصنوعة من الفيرفورجيه أو الحديد المشغول، ملحق به حجرة تبدو كصالة رياضية ثم برجولا، أو مظلة خشبية تحتها ترابيزة كبيرة تبدو قديمة.

كل هذا من شأنه أن يعطيك إحساساً بالثراء، فأنت في قلب القاهرة في شقة ولكنها تبدو كجزء من نادي الجزيرة. ورغم هذا الثراء الذي أحكي عنه فإن الشقة تنم عن ذوق مضطرب ما بين مختلف أنواع الديكور، فلا هي مودرن ولا هي كلاسيك ولا هي ما يطلقون عليه مودرن ستيل كلاسيكية، «ستيل» أي تجمع ما بين الحديث والقديم في خليط بدا لي مزعجاً، ألوانها بها تناقضات فالأخضر والروز أو البمبي على الحائط جعلني

منزعجة، حجرة الطعام مفتوحة على بقية الصالونات وهي تحتوي على ثمانية كراسٍ فقط وصغيرة إلى حد ما مقارنة بحجم المكان، أهم ما يلفت النظر هو لوحة كبيرة مساحتها حوالي أربعة أمتار في مترين مرسومة وغير موقعة، عليها رسم لساحة مجلس الشعب وتضم عدة أشخاص، منهم سعد زغلول مرافقاً للنحاس في جانب ثم أيمن نور وكمال الشاذلي وفتحي سرور وآخرون لم أتعرف عليهم، وفي جانب آخر من اللوحة فؤاد سراج الدين وياسين سراج الدين، فهي تصور لجمع عدد من الشخصيات التي تمثل أجيالا مختلفة مرتبطة بمجلس الشعب وبحزب الوفد، بدت لي اللوحة البورتيريه في الأكشاك في بعض شوارع القاهرة. مما أعطى المكان بالنسبة لي كثيرا من التواضع ولا أقول الزيف.

وفي أثناء فترة انتظارنا كانت عدة فتيات يعملن في المكان يتحركن أمامنا ويذهبن إلى منطقة ما بدت لي أنها منطقة حجرات النوم.

وبعد لحظات اتصلت جميلة إسماعيل على الموبايل لتقول لنا: إن أيمن نور أجل موعدنا إلى الساعة الخامسة في مكتبه لظرف طارئ، وأنها حاولت إبلاغنا وإن لم تصل لنا الرسالة. وكنا قد صورنا أجزاء من البيت في انتظار أن يظهر أصحابه لنكمل التصوير ولكن تأجيل الموعد جعلنا نخرج بخفي حنين إلا من بعض صور لبيت أيمن نور الذي قال لي فيما بعد: إنه لو أصبح رئيساً للجمهورية لن يتركه إلى قصر للرئاسة كما فعل كل رؤساء مصر مجتمعين.

في الخامسة بالضبط كنا أنا ودينا والمصور أمام مكتب أيمن نور في وسط القاهرة، وما يمكن أن يقال عن المكتب هو نفسه ما يمكن أن يقال عن بيته تماثيل كبيرة وقطع فنية مقلدة وشعار ملكية معلق على الجدران وصورة الأب عبد العزيز نور في وسط الحائط وهو يرتدي طربوشا لتضيف إلى المكان إحساساً بالقدم، ولكن ظل هناك إحساس لدي بأن كل شيء مصنوع غير حقيقي إلا من شيء واحد – جميلة إسماعيل – الزوجة التي قابلناها في لحظة معرفتها ومعرفة زوجها أيمن نور بقرار إحالته إلى محكمة الجنايات بتهمة التزوير، بدا عليها الإرهاق ورنين التليفون الخاص بها لم يتوقف. وكالات أنباء أجنبية وصحف وصحفيون يطالبونها بالتعليق، ورغم أهمية هذه اللحظة التي وصلنا فيها فإنني ما كنت أتمناها لسبب واحد أنني حضرت لحاوره مرشح للرئاسة وليس متهماً بالتزوير.

ولكن القضية لم تكن تطارد أيمن نور فقط ولكنها تطاردني أيضاً. تصورت أن جميلة

إسماعيل ستعلن لنا إلغاء الموعد بسبب الظرف الطارئ ولكنها طلبت منا برقة شديدة الانتظار لبعض الوقت، لأن زوجها يكتب رداً لصحيفته (الغد) على ما يحدث له، في هذه اللحظة جلسنا بعض الوقت وكان يدق الباب كل دقيقة شخص يطلب استمارة عضوية للحزب، والحق أن بعضاً ممن حضروا كانوا يشبهون المخبرين في الأفلام المصرية، لا ينقصهم سوى جريدة مخرومة ينظرون فيها وهم جالسون على القهوة، مما جعلني أضحك رغم جدية اللحظة التي نعيشها.

في أثناء انتظارنا حضر صحفي من B.B.C، وآخر من وكالة أسوشيتد برس وآخر من وكالة الأنباء اليابانية، وطلبت منا جميلة أن يرافقونا في الدخول إلى الدكتور أيمن نور لأن لديهم سؤالا واحدا ثم ينصرفون. وطبعاً كان سؤالهم عن تعليق أيمن نور على قرار إحالته إلى محكمة الجنايات.. وهل سيؤثر هذا القرار على ترشيحه للرئاسة؟ كان أيمن نور يرد بالعربية وجميلة إسماعيل تقوم بالترجمة، مما يدل على أن أيمن نور لا يجيد الإنجليزية. وفي لحظات كانت تطلب منه ألا يكون حاداً في الإجابة، ولكنه طالبها بأن تترجم نص كلماته بلا تحريف والتي قال فيها إن محاكمته ستكون محاكمة للنظام وليس له.

بدا أن شخصية صاحب البيت والمكتب تشبه ما حولها وقد رحب بنا أيمن نور ولم يبد عليه سوي الإرهاق ولكنه بدا شخصاً قوياً واثقاً من نفسه. وأخيراً وبعد يوم طويل على كلينا (أيمن نور وأنا) جلسنا في مواجهة بعضنا البعض، مواطنة وصحفية تحاور مرشحاً للرئاسة. على مدى ثلاث ساعات كاملة جلست معه وأعترف أنها لم تكن أسهل الساعات في حياتي لأنه شخص ذكي جداً ومناور جداً، ولكني أعترف بأنه كان أيضاً صبوراً جداً معي، فقد سألته في كل شيء حول حياته وعن علاقته بزوجته وعن كيفية تمويل حملته الانتخابية وعن السؤال الذي قال لي إنه مل من الإجابة عنه من أين لك هذا؟ فأعلن أنه سيقدم إقرار ذمة مالية ويطالب الآخرين بنفس الشيء وحكى لي عن آخر فيلم شاهده وكيف أنه يخاصم الغناء.

جريدة صوت الأمة – مارس ٢٠٠٥

جنس جماعي بـ(٢٠٠) جنيه

أعترف بأنني ترددت كثيرا قبل أن أكتب ما سأنقل لكم بعضه من باب أني قد أكدر صفو السلام الاجتماعي، وبعضه من باب أنني لا أضع نفسي في قائمة صحفيي الفضائح، أو من يقال عنهم الباباراتزي.. فأعدت التفكير مرات ومرات فوجدت الحياء يخجل ممن سأكتب عنهم وليس مني، ووجدت السلام الاجتماعي مفقودا، ووجدت أخيرا أن الفضائح لها صناعة وأن ناقل الكفر ليس بكافر.. فعزمت أمري أن أنقل لكم الخبر وأحكي الحكاية وأدق ناقوس الخطر الذي يحيق بهذا البلد، فالخطر والخطيئة لا يوجدان فقط في شبرا الخيمة التي خرج منها حسن بشندي الشاب الصغير الذي فجر نفسه في الأزهر.

الخطر والخطيئة لا تعيشان فقط في المناطق العشوائية حيث الفقر والبطالة والرذيلة والضياع، والخطر والخطيئة لا يطلان فقط من عيون صغار دفعهم اليأس لأحضان جماعات تلقنهم التفكير المجتمع وهجره، والخطر والخطيئة لا يأتيان فقط من تخلي الحكومة عن ملايين البشر برفع الدعم لكنهما قد يأتيان من عكس كل ذلك، فقد يأتي الخطر من شباب لا يعرف أن هناك منطقة تسمى شبرا الخيمة ولا يعرف أن على الخريطة شيئاً اسمه مناطق عشوائية ولا ذاق مرارة كلمة بطالة، ولا عرف معنى كلمة الدعم.. الخطر والخطيئة يسكنان في هؤلاء وهؤلاء فاحذروا واقرأوا الحكاية.

في زمن ثقافة الموبايل الذي تأتيني منه مئات الرسائل فيضحكني بعضها ويبكيني الآخر ويسبني غيرها ويخبرني بعضها، أتتني رسالة تدعوني إلى حفل يقام يوم ١٤ إبريل،

واعتبرت الأمر عادياً جدا، فكم من دعوات تأتيني بهذه الطريقة الحديثة ولكني ذعرت حين وصلت إلى الجزء الذي يعلن عن اسم الحفل الذي لن أستطيع أن أنقله لكم إلا بحروفه الأولي فهو مكتوب بالانجليزية. (Fuck Me I'm Famous) أو (ضاجعني.. فأنا مشهورة) وتصورت أن الأمر مزحة ثقيلة من شخص سليط اللسان وخاصة أن مكان الحفل المعلن هو مبنى شهير على نيل القاهرة، ، رغم تحديد تاريخ الحفل وثمن التذكرة، وهو ٣٠٠ جنيه، فإن اسم الحفل ومكانه جعلاني أرى الأمر في إطار النكتة الجنسية التي أصبح الموبايل إحدى وسائل تناقلها فأعدت الاتصال بالراسل لكي أستفسر عن هذه النكتة الجديدة فانفتحت على عالم جديد تماماً.. عرفت أن الأمر ليس مزحة بل هو حقيقي جداً، وأن هناك بالفعل حفلاً بهذا الاسم، وسيقام فعلا في هذا التاريخ والمكان، وهو معلن عنه في عدة أماكن منها مجلة تصدر بالإنجليزية.

وبدأت من هنا رحلة بحثي في هذا العالم الآخر: عالم الحفلات الخاصة العامة، واكتشفت أن أحد أشهر الأسماء فيه هو منظم هذا الحفل الشهير بجنزو أو أحمد الجنزوري وهو شاب عمره ٢٤ عاماً يعمل مع ابن وزير حالي في شركة اسمها بليس (BLISS ENTERTAINMENT) للترفيه، وهي التي بدأت بترتيب الحفلات في أماكن مثل فيلا «كان زمان» وحفلاتهم لها سمعة قوية بين الشباب أو كما يقولون عنها إنها أكثر الحفلات وحشية wild، هو تعبير بالنسبة للشباب روش ولكن حقيقته مخيفة وظل سؤال يتردد بداخلي من أين أتى هؤلاء الشباب بهذا الاسم الفج لحفلاتهم، فوجدت أن الاسم مأخوذ عن حفلات تقام في بلدة لبيزا بإسبانيا وهي مدينة يقال عنها في أوربا إنها أكثر المدن إباحة. وعرفت أن جنزو سافر حول العالم ليكتسب الخبرة فمر على كل علب الليل بأمريكا وأوربا ليكتشف أن ليل القاهرة ممل بالمقارنة بها، وحين وصل إلى لبيزا وجد ضالته المنشودة لينقل منها للمصريين أجمل ما فيها – كما يعتقد – وهو (Fuck Me I'm Famous).. أي والله هكذا قال جنزو أو أحمد الجنزوري في حواره الذي سأنقل لكم مقتطفات منه، فحين حاوروه في مجلة تصدر بالإنجليزية قدموه على أنه وجه المستقبل، وسألوه: ما هي أفضل صفاتك؟ فقال:: أنا لا أعطي أهمية لأحد فاللعنة على الجميع!!

وحين سألوه: ما الذي تعصبه في المرأة؟ قال «الكعب العالي والسيقان الطويلة والمؤخرة الجميلة».

وحين سألوه عن أفضل أغنية يحبها قال: «أحب نفسي وأحبك حين تحبيني وحين أشعر باليأس أريدك فوقي»، و (هذا منقول بالنص عن حواره).

دعونا من جنزو وشركاه لننتقل مباشرة إلى الحفل المتوحش الذي حضره أكثر من ألف فتى وفتاة أغلبهم ما بين الثامنة عشرة وأحياناً أقل وأكبرهم فوق العشرين بقليل، كما حضره رجل أعمال شهير وفنانة كانت شهيرة منذ سنوات ولا أجد كلمة أبدأ بها وصف ما رأيت غير استحضار روح ولسان يوسف وهبي حين كان يقول: «يا للهول» فترج جنبات مسرح رمسيس، أما أنا فيا للهول الخاصة بي أكاد أزعم أنها وصلت إلى قاع النيل الذي نطل عليه فهزت مصر من شمالها إلى أقصى جنوبها. الفتيات لا يرتدين إلا شيئاً رفيعاً يستر الصدر. وهنا أقصد صدر النساء إن جاز استخدام تعبير الستر في هذا الوضع. أما السيقان وما فوقها فأيضاً عليها قليل جداً من الستر. الشبابا حضر أكثرهم ببنطلون فقط أما النصف الأعلى فأغلبهم كان عارياً، لف بعضهم الجنازير حول جسده في مشهد مشابه لهؤلاء الرجال الذين يظهرون في أفلام تصور العنف الجسدي تجاه المرأة، بدا أن كثيراً منهم كان «مظبط نفسه» بلغة الشباب – قبل الحضور.

و«مظبط» كلمة مقصود بها مبسوط شوية بسبب «محفز خارجي».

أما جنزو فقد كان يرتدي قميصاً أبيض مفتوحاً تماماً من الصدر مثل فساتين السهرة وبنطلوناً أسود نصفه الأعلى من الساتان ونصفه السفلي من الشمواه، وعلى وجهه ماكياج يقولون إنه خاص بالرجال، وظل في حالة رقص ملتهبة طوال الحفل. فالوليد ولداه يحفز الشباب الحاضر على العمل وما حدش بياكلها بالساهل، لأني أؤكد لكم أنه لابد لكي تفعل مثله أن تتعب، وخاصة إذا كنت وجه المستقبل، أما الـ DJ فكان مستورداً من إنجلترا والراقصون الجوجو فهم الراقصون والراقصات الذين يقفون على الموائد لأداء حركات أقرب إلى حركات راقصي الاستربتيز لبث الحماسة أيضاً في نفوس الحاضرين، والحق أن هذا الحفل ضاع فيه كل شيء إلا الحماسة وفجأة وفي لحظات عرفت معنى الكلمة الروشة حفل متوحش (WILD) فقد تحول المكان إلى غابة لا يحكمها قانون إلا

قانون المتعة وكلماتي مهما بلغت بلاغتها لن تستطيع نقل وقائع الحفل خارج الزمان والمكان، وعلت دقات قلبي على صوت الموسيقى وكنت أتمنى لو أن في يدي كاميرا لأنقل بها وقائع الإفساد ولكن للأسف الكاميرات كانت ممنوعة والتفتيش كان سابقا للدخول.

وخرجت من المكان حين فقدت كل قدراتي على الاحتمال حتى من باب الفضول لمعرفة المزيد عن هذا العالم الآخر، خرجت أسير بمحاذاة النيل، والقاهرة تبدو ساكنة على السطح ولكنها تغلي من داخلها، فنفس الظلام الذي يلف هؤلاء الخارجين عن كل شيء ويعانون فيه اللعنة على الجميع يلف شبابا آخرين أخرجناهم من كل شيء حتى الدعم فخرجوا مستخرجين علينا ليعلنوا اللعنة على الجميع، فالكل سيسير بقانون جنزو وإن اختلفت الأسباب. فاحذروا حاذروا أن يأتي يوم قريب تخرج فيه كريمة المجتمع وطين المجتمع ليعلنوا معاً اللعنة على الجميع!! إنه بلاغ لمن يهمه الأمر إن كان هناك من يهتم قبل أن يصبح شعار شباب مصر (fuck Me)

جريدة صوت الأمة – أبريل ٢٠٠٥

خطيئة المثقف في مصر

تمكن التطرف من أوصال الوطن وأمسك بجلبابه وتخفى في مناطقه العشوائية وعشش في قصوره وفيللاته وراح يمرح في شوارعه مرة باسم الدين ومرة باسم الفقر ومرة باسم الحرية ومرة باسم الديمقراطية ومرة باسم حسابات لا حدود لها في البنوك.

ورغم ذلك أحلم بأن هناك خط دفاع موجودا بداخلنا ويعيش بيننا يستطيع أن يقف في مواجهة الطوفان حتى لو كان خطا ضعيفا يتمثل في فيلم جميل أو كلمة صدق مكتوبة أو أغنية تدخل كلماتها وألحانها القلوب، أو صورة معلقة على جدران تحمل طفلا في المهد، ولكن حتى هذا الحلم بدا يبعد ويبعد ليس لأن فنوننا أصابتها الشيخوخة أو التفاهة فحسب، ولكن لأن هناك من المسئولين عنها أصابهم الخوف من مجتمع لا يرحم.. مجتمع متطرف واسمعوا الحكاية: على أبو شادي أحد الوجوه البارزة في عالم الفن والمسئول عن الرقابة على المصنفات الفنية وعن المركز القومي للسينما ورئيس مهرجانها القومى، ناقد ومثقف ومحب لأهل السينما والثقافة والصحافة.

علي أبو شادي نموذج جميل مصري مثقف أشفق عليه أكثر مما أدينه، ولكن لا أستطيع إلا أن أستنكر ما حدث منه حتى لو لم يكن مسجلا بعد بشكل رسمي في الرقابة التي يرأسها، والحكاية تقول: إن المخرجة منال الصيفي تقدمت بسيناريو إلى جهاز الرقابة لتأخذ عليه الموافقة باسم مؤقت وهو «آخر ديسمبر فستقي» وبالفعل حصلت المخرجة على موافقة الرقابة وتم الاتفاق على البدء في تصوير الفيلم وإن لم يتم الاتفاق على الاسم وتناقشت المخرجة مع مجموعة عمل الفيلم واتفقوا على أن يكون اسمه «منتهي اللذة» وهو الاسم الذي يلخص فكرة الفيلم، حيث إن منتهى اللذة تختلف من شخص لآخر

فالبعض يرى الطعام كذلك وآخرون يرون أن منتهى اللذة في الصعلكة، أما بطلة الفيلم فترى منتهى اللذة في الموت، المهم أن المخرجة حين أبلغت على أبو شادي بالاسم رفضه شفاهة وطلب منها البحث عن اسم بديل لأن الاسم فيه إيحاء جنسي!!

عرفت الخبر وحين سألت على أبو شادي مباشرة قال لي: لم أرفض الاسم رسميا لأن أحدا لم يتقدم لي واعتبرت هذه إجابة فيها مراوغة فأعدت عليه السؤال فإذا بي لا أجد أمامي على أبو شادي الذي أدعي أني أعرفه، فراح يتحدث عن حادث الأزهر والتطرف وأن البلد مش ناقصة، وأن اسم فيلم يجلب صداعا أمام مجلس الشعب وعلي صفحات الجرائد من السهل التضحية به. وأن أفيشاً مكتوبا عليه منتهي اللذة في شوارع المحروسة سيكون نذير شؤم، وأن علينا الحذر حتى لا نعطي للمتطرفين فرصة وأضاف: إن الرقابة تتعرض الآن لهجمة شرسة من أصحاب أفلام يسعون لتسميتها بأسماء غريبة لجذب النظر، وأضاف على أبو شادي، الذي لم يعد كما كان بل تحول بالنسبة لي فجأة رجلا حكيما، والحكمة هنا ليس المقصود منها معناها الإيجابي ولكن مقصود بها الحكمة التي تجعلنا نلوي أعناقنا ونغطيها لتمر العواصف دون أن تضرنا وتلك حكمة للعاجزين وليست حكمة المثقفين ولا الفنانين الذين من شأنهم أن يغيروا مجتمعاتهم، وهذا ما يجعلني أدين على أبو شادي حتى لو أتت الإدانة لسبب يبدو صغيرا مجرد اسم فيلم، ولكن تلك هي البداية فكل الكبائر في حياتنا تبدأ صغيرة.

ولكني أعود بذاكرتي رغما عني لألتمس بعض العذر لذلك الرجل الذي دفعه المجتمع المتعصب الأعمى لغير هويته، فمنذ سنوات حين كان أبو شادي رئيس هيئة قصور الثقافة حدثت له أزمة عرفت باسم أزمة الروايات الثلاث التي أجاز طباعتها على نفقة هيئة قصور الثقافة، وخرجت الأفلام وبعض المظاهرات لتذبحه لأنه سمح بطباعة هذه الأعمال التي اعتبرها البعض روايات جنسية حتى إن أهالي الإسماعيلية رفعوا قضية على توفيق عبد الرحمن كاتب إحدى هذه الروايات لأن أحداثها تدور في مدينتهم واعتبروا ذلك إهانة لهم، وكأن الإسماعيلية مدينة الطهر والعفاف، منتهى التطرف والهيافة ولكنها أحداث بالفعل حدثت ودفع ثمنها على أبو شادي بالإقالة والأدباء إبراهيم أصلان ومحمد البساطي بالاستقالة، وجلس على أبو شادي لفترة في بيته ولكن وزير

الثقافة أعاده بعد فترة للعمل بالمركز القومي للسينما.

ولهذا أزعم أن حكمة على أبو شادي قد أتته من ذلك الدرس الذي يقول «اللي إتلسع من الشوربة ينفخ في الزبادي»، لست أقصد شن حرب على أبو شادي بسبب اسم فيلم لم تثبت بعد قيمته، ولكني كما سبق وقلت كل الكبائر تبدأ صغيرة، وكل التطرف يبدأ اقتناعا، وكل العجز يبدأ بكلمة أن مصر مش مستحملة وهي الجملة التي لا أعرف سواها منذ أن وعيت الحياة في هذا البلد، فكلما فتحت فمي بكلمة أجد من يقول لي هذه الجملة ولكن لم أكن أتمنى أن أسمعها من بعض لبعض كعلي أبو شادي الذي لا أملك إلا أن أقول له: «حتي أنت يا على استطاع تطرف مجتمعنا أن ينال منك.. حتى أنت يا علي».

جريدة صوت الأمة - مايو ٢٠٠٥

انتخب مبارك تدخل الجنة

لعب حسن البارودي في فيلم الزوجة الثانية دور رجل الدين الملازم للعمدة أو حاكم القرية المطلق الظالم يردد آية من آيات كتاب الله «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» لم تكن هذه الآية إلا تبريرا لكل عمل حرام وشرير قام به الحاكم الديكتاتور، فعلى مر العصور المختلفة ارتبط كثير من أهل الدين بالحكام وراحوا يبحثون في ثنايا الكتب المقدسة عما يبرر أفعال حكامهم بأمر إلهي يأخذون منه ما يريدون وينفون عنه ما يكبلهم حتى باتت شريعة الله في أيديهم مصدر ظلم وهي عدل، ومصدر تجبر وهي رحمة ومصدر شر وهي خير.

ولكن وكما كان في التاريخ كثير من نماذج رجال الدين الذين برروا لحكامهم الظلم على غرار حسن البارودي، كان أيضاً هناك نماذج من رجال الدين الذين بدوا في حلق الحكام الظالمين شوكة تذكرهم بشريعة الله وحق العباد والفرق بين الظلم والعدل.

ومن منطلق قراءتنا لهذا التاريخ نستطيع أن نتبين لم خلع شيخ الأزهر الآن عمامته ولبس طربوش الحكومة في كرنفال أو فيلم الانتخابات الرئاسية، ختام أفلام الموسم الصيفي وراح يفتي ويهلل لرئيس الدولة بكلمات منتقاة من كتاب الله وأحكام شريعته؟! ومن نفس المنطلق التاريخي أستطيع أيضاً أن أتفهم لم خلع الحبر الأعظم البابا شنوده رداء الكهنوت وارتدى هو الآخر طربوش الحكومة وعباءتها وراح يصب اللعنات على كل من يخالفه في مبايعة ومؤازرة الرئيس مبارك بالروح والدم، بل وصل الأمر بالبابا إلى أن يطرد من جنته من تجاسر على إبداء الاختلاف السياسي وليس الديني فقط كما

حدث مع القس فلوباتير، راعي كنيسة السيدة العذراء الذي أوقفه، لأنه ظهر مع أيمن نور المرشح المناهض للرئيس مبارك؟

وما بين شيخ الأزهر والبابا يحكي لنا التاريخ الكثير عن رجال الدين. ولكنه لن يستطيع أن يحكي لنا كما سنحكي نحن أبناء الحاضر عن رجال المال والأعمال في مصر الآن الذين لم يكتفوا بالفتوى في الحلال والحرام، فنافسوا رجال الدين في بضاعتهم ولكنهم زادوا عليهم فادعوا نزول الوحي عليهم ووصفوا القداسة على ما لا قداسة له. ببساطة لأنه بشر مجرد رئيس لدولة وليس رسولاً مُنزلاً، ففي موجة الإعلانات المبايعة والمؤازرة والنفاق والمبالغة نشرت بعض الصحف والمجلات هذا الإعلان المدفوع الأجر لبعض رجال الأعمال مثل د. ثروت باسيلي صاحب إحدى كبريات شركات الأدوية في مصر، والإعلان يقول «اختارك الله لمصر، فكيف لا نختارك نحن؟!! يا نهار أسود أوصل بالبعض الأمر أن يدعي على الله ما ليس بحق وهو ليس أي ادعاء فقد نزل الوحي على رجال الأعمال يبلغهم باختيار الله للرئيس فكيف بنا ونحن البشر نخالف الله؟! فكم من ذنوب ترتكب باسم الله؟!. وكم من خطايا سيحملونها على ظهورهم يوم الحساب، فهم وغيرهم منذ فجر التاريخ الذين صنعوا الآلهة من العجول وعبدوها ثم حين جاعوا أكلوها.

أستطيع أنا وغيري أن نتفهم أن رجل أعمال يستفيد بشكل كبير من عصر مبارك ورجال مبارك يدعون له بالبقاء. وطول العمر لأن مصالحهم مرتبطة به، أستطيع أنا وغيري أن نستوعب بحدود نفاق أهل المال لأهل السلطة من أجل زواج عرفي لا يقبله المجتمع ويتضرر منه، ولكن إعلاناً كهذا يبدو مجاهرة بعلاقة غير شرعية وأبناء خطيئة لا يستطيع المجتمع قبولها أو حتى مناقشتها. لرجال الدين خطاياهم ولرجال الأعمال خطاياهم ولكننا نعيش الآن في عصر امتزجت فيه خطايا الطرفين فخلقت مسخاً جديداً من الخطايا. وإن كان الإمام الأكبر والحبر الأعظم تنكرا لردائهما ولبسا طربوش الحكومة، فإن د. باسيلي وغيره من رجال الأعمال قد ضاعفوا تنكرهم فلبسوا الطرابيش وعباءات رجال الدين وأضافوا لها أجنحة الوحي مر الملائكة ويأمرون البسطاء باختيار مبارك ليضمنوا صكوك الغفران ودخول الجنة.

هناك فرق بين الفجاجة والسخافة ويقع بينهما أغلب ما يحدث في هذه الحملة الانتخابية، ولكن إعلان د. باسيلي وغيره وصل إلى عنان السماء وأنتظر وغيري في الأرض حين ينزلون إلينا بعد صناعة الإله وعبادته لأشاهد وليمة الطعام حين يأكلونه.

جريدة الفجر - سبتمبر ٢٠٠٥

obeikan.com

انتخابات الرئاسة ضربت السينما

أكثر من ٨٥ مليون جنيه أنفقت حتى الآن في مشاهدة الأفلام الصيفية التي ودعها الجمهور أو يكاد ونحن على أبواب موسم جديد تنزوي فيه السينما أمام هموم أكبر بالنسبة للمواطن المصري المتمثلة في المدارس وشهر رمضان الذي يكاد يدق الأبواب. وقد كتبت فعل «أنفقت» مبنياً للمجهول لسببين أولهما: إنني لا أستطيع أن أزعم أن المصريين وحدهم هم الذين دفعوا هذه الأموال في مشاهدة السينما جانب مهم من جوانب برنامجها السياحي.

أما السبب الثاني لتجهيل فعل «أنفقت» أن كلمة الجمهور كلمة غامضة نستخدمها بكثرة رغم أنها كلمة هلامية غير محددة فنحن نتكلم عن الجمهور وكأننا نحكي عن أناس محددين نعرفهم ونعاشرهم ونأكل أكلهم ونفكر بمنهجهم ونحلم بذات أحلامهم، والحقيقة أننا كاذبون تماماً كالساسة في بلادنا، الذين يتكلمون عن الشعب وعن إرادته وهواه وهم كاذبون، فلا هم يعرفون الشعب ولا لديهم تفويض منه، ولا الشعب أغلبه يعرفهم أو يهتم بهم، وتلك هي ذات الصفة التي تجمع نقاد السينما مع الساسة فنحن مثله نتحدث عن الجمهور وباسمه، فلا نحن أخذنا منه توكيلات ولا نحن بالقطع نعبر عنهم جميعاً.

وإن كنا نزيد على الساسة في فضيحة تزوير إرادة الجمهور، فما إن يجمع النقاد من القمة إلى القاع على أن هذا الفيلم أو ذاك أسوأ ما قدمته السينما إلا ويمطر الجمهور الملايين تحت أقدام الفيلم وأبطاله، وما إن يذكر النقاد مثلاً أغنية بسوء ويفندوا بذاءتها وسوء صوت

مطربها إلا وتصبح هذه الأغنية هي رقم «١» في سباق الأغاني .. وهكذا من هزيمة إلى أخرى يُمنى بها النقاد أمام فن أغلبه بذيء، ورغم ذلك فهم مازالوا يعيشون ويكتبون، بل وحتى حين تعييهم الحيل ويفشلون في التصدي لبذاءات الفن يبدأون في الهجوم على ذوق الجمهور وفساده وسوء تقديره.

ورغم هذا الصراع الدائم الخفي بين النقاد والساسة فإنني أعتقد للمرة الأولى أن السياسة أنصفت النقاد وساعدتهم هذا الموسم لأنها أنهت الموسم السينمائي الصيفي سريعاً وكلفته خسارة فادحة بسبب الانتخابات الرئاسية التي بدأت في منتصف شهر أغسطس، فأمام واقع أكثر إثارة من شاشات السينما وأمام أبطال وكومبارس على مسرح الحياة والسياسة مثل أيمن نور وجمعة والصباحي وغيرهم تحول محمد سعد وعادل إمام ومصطفى قمر إلى أبطال من ورق نسيهم الجمهور سريعاً. فرغم أن الجمهور أعطي محمد سعد تاج الجزيرة بـ ٢٥ مليون جنيه ووزع باقي الغنيمة على بقية النجوم فإن أهل السينما لا يعتبرون هذه المبالغ انتصاراً لأنهم أنفقوا الكثير على نجومهم، مما جعل المكاسب تتضاءل أمام بنود الاتفاق.

لم يكن إذن النقاد هم سبب وكسة الموسم السينمائي – كما يتهمهم أهل السينما كثيراً – ولكن أهل السياسة هم الذين أفسدوه بفيلم غطى على كل الأفلام الصيفية وتم الإنفاق عليه بمئات الملايين فاستطاعت الأفلام السياسية الواقعية أن تفسد على أفلام الضحك والحب بهجتها وانتصارها، واستطاع نجوم الانتخابات أن يسحبوا البساط من تحت أقدام نجوم الشاشة فوداعاً لموسم سينمائي وسياسي إلى موسم رمضاني، ومن موسم إلى موسم يا قلب لا تحزن.

جريدة الفجر – سبتمبر ٢٠٠٥

بحيا التطرف يسقط الفن

ما هي إلا أيام قليلة نرحل من عام لآخر، وأعتقد أن هذا العام ادخر توهجه للسياسة والشارع وأخبار البورصة والعالم من حولنا ونزع كل الدسم عن الفن، لم يعد يجدي أن نقيم سباقات ونرفع من شأن الأفضل في سلسلة الأسوأ وأن نحكي عما فات لأنه في إطار حالة البهتان الفني «ما فات قد مات».

حناجر كاذبة

أثار فيلم «دنيا» عاصفة من الانتقاد في مهرجان القاهرة السينمائي تحت شعار إنه يسيء لمصر لأنه تعرض لحادثة ختان، وأثار، أو يكاد. الفيلم القصير «اسانسير» لهديل نظمي أزمة طائفية لأنه يسيء للحجاب، وبالتالي للإسلام ولن أدخل في تفاصيل القيمة الفنية للفيلمين. فمثل هذه الاتهامات المتطرفة لا تترك الفرصة للحديث عن الفن ففي «دنيا» جوسلين صعب ألف مشكلة فنية لدى المتلقي وفي «أسانسير» هديل نظمي عشرات المشاكل الفنية أيضاً ولكن تحت عنوان الإساءة لمصر والإساءة للدين ترتعش أقلام وتسن أخرى وتكاد تختفي أصوات وتعلو أخرى بنداء بـ «الروح بالدم نفديك يا مصر ويا إسلام»، والحق أن لا جوسلين صعب اللبنانية أو فيلمها أساءا لمصر، ولا هديل وأسانسيرها أساءا للإسلام، ولو كشفت النقاب عن تلك الأصوات العالية لكشفت ألف عورة تسيء لمصر بهم. ولكن لأننا لسنا في سجال كشف العورات أتمنى أن نتعلم كيف تعامل الأفلام في إطارها المحدود والأغنية في مجالها والكتاب في منهجه وكفاية ترديد كلمات كاذبة حتى نتحول من مجتمع الظاهرة الصوتية إلى مجتمع عاقل؟!

الاعتزال والعودة

مع نهايات عام ٢٠٠٥، أعلن محمد الحلو وسمية الألفي وحلا شيحة اعتزالهم، وكل منهم يمثل جيلاً ومنهجاً مختلفاً عن غيره وبالتالي فأسباب اعتزالهم مختلفة ومن التناقض أنه في ذات الوقت عودة بعض الوجوه التي أعلنت اعتزالها لدائرة الضوء وتعمل من جديد مثل سهير البابلي. التي عادت من خلال مسلسل تليفزيوني وشهيرة التي عادت من خلال برنامج تليفزيوني، وسهير رمزي العائدة من خلال أخبار مسلسل قادم، الاعتزال والعودة عند أهل الفن ليستا ظاهرة «لخبطة» فنية ولكنها ظاهرة «لخبطة» اجتماعية وإنسانية!!

سمية الألفي تعزو اعتزالها لكونها مضطرة الآن للتفاوض على مكان اسمها على التترات وهو وضع معروف مسبقاً لكل من يعمل في الفن في مصر، أو حتى في أنحاء العالم المختلفة أن ترتيب الأسماء على أفيشات لها علاقة بالتسويق والنجومية. ولهذا فأنا لا أصدق هذا السبب للاعتزال، ولكن حتى وإن كان صحيحاً فهذا يعني أن بعض فناننا لا يقبلون الواقع أو كاذبون.

حلا شيحا تجسيد لكثير من بنات جنسها وجيلها «لخبطة» كبرى وشخصيات هشة وفهم منقوص للدين وحجاب إن لزم الأمر ورقص إذا انقشع الهم. حلا وغيرها نتاج مجتمع الكبار فيه يرفعون شعار الفضيلة نهاراً ويتمرغون في الرذيلة ليلاً وما بينهما ضائع ومتخبط، وعودة المعتزلات خير دليل على تخبط أفكار مجتمع أعلن شيوخه وفقهاؤه البراءة من الفن، فكان قرار الاعتزال والتوبة ثم أعلنوا مرة أخر أن حلاله حلال وحرامه حرام فعادوا ليأخذوا الحلال ويتركوا الحرام كما قالوا. على حسب وداد جلبي.. قال الرسول عليه الصلاة والسلام نحن أمة وسطاً فهل أطمع أن نكون مجتمعاً وسطاً لا تطرف فيه أم أن ذاك أضغاث أحلام؟

ملك وكتابة وجمهور

مع أخر أيام العام بدأ عرض فيلم «ملك وكتابة» فيلم مضيء في عام سينمائي أغلبه مظلم باهت أنتجت فيه السينما ٣٩ فيلماً وحصدت بعض ملايين كإيرادات ولكن أغلبها أفلام ستموت بالفعل ماتت بعد أيام من عرضها.

ومن الغريب أنه في وقت لم تستطع فيه النساء أن تحرز نجاحاً في البرلمان تستطيع البنات في السينما أن تحرز أيضاً أهدافاً قليلة ولكن قوية كساندرا وكامنة في ملاكي إسكندرية، وفي «ملك وكتابة»، ومجرد بداية لمنال الصيفي حتى لو لم تكن موفقة في «منتهى اللذة» وقبلهن هالة خليل في «أحلى الأوقات» ولكن يظل عددهن سواء في البرلمان أو السينما محدوداً.

جريدة الفجر – ديسمبر ٢٠٠٥

أخاصمك آه أسيبك لا

«احترقت روما في حين ظلت أوركسترا نيرون تعزف ببراعة» إن عبارة أورسن ويلز هذه التي تعود للستينيات يمكن أن تنطبق جيداً اليوم على انحدار الإمبراطورية الأمريكية والتدهور المنتشر فوق كوكب الأرض، ففي هذا العالم المليء بالكوارث، فإن الأوركسترا التي مازالت تعزف في سينما هوليوود، التي أصبحت اليوم الديكتاتور المطلق في السوق العالمي، ورغم هذا تخرج علينا نقابة المهن السينمائية ببيان نصفق له جميعاً ونتمناه، وهو ضرورة مقاطعة السينما الأمريكية، ولكن الواقع يقول إنه حلم صعب المنال كحلم فأر بمحاربة التنين. الحق أنه في أوقات كالتي نعيشها، لا يمكن إلا أن نكره كل ما هو أمريكي، ولكن الحق شيء والواقع شيء آخر، فبنظرة سريعة على أبواب دور العرض ستجد أحد عشر فيلماً أمريكياً تعرض في مقابل ثلاثة أفلام مصرية، أما على قنوات التليفزيون فحدث ولا حرج، وأما عن الفضائيات فقنوات الأفلام تعرض لمدة ٢٤ ساعة أفلاماً أمريكية فهل من المعقول أن نطالب جمهوراً نمت تربيته وتنشئته على الفيلم الأمريكي، حتى أدمنه أن نطالبه فجأة بإيجاد بديل لإدمانه.

إن السينما أي سينما جزء من نسيج المجتمع سواء كان سينما محلية أم وافدة، ومنذ سنوات والسينما الأمريكية تتخلل ذلك النسيج، تتخلله بأخبارها ونجومها وأفلامها حتى أصبحت تسري فينا، كما تسري في دماء كثير من شعوب العالم، حتى الفيلم الهندي الذي كان له مشاهدون في مصر في فترة الستينيات والسبعينيات فقد عرشه في دور العرض الدرجة الثالثة، بدليل أن فيلم أميتاب باتشان الأخير الذي يعرض حالياً يشكو موزعه أنطوان زند من خسارته، برغم جودة الفيلم، ويضيف أنطوان رند موزع الفيلم

الإنجليزي (الآخرون)، الذي عرض العام الماضي، إنه لولا أن بطلة الفيلم الأمريكية «نيكول كيدمان» ما كان هذا الفيلم وجد سوقاً رائجاً في مصر لتصور المشاهد أن فيلم أمريكي، وبالإضافة إلى إدمان الجمهور للفيلم الأمريكي، فهناك كسل أوربي في توزيع أفلامهم في مختلف دول العالم، خاصة في مصر، فالفيلم الأوربي أو غيره لا يوزع فقط من خلال موزعينا، ولكنه يحتاج لدعم من قبل أصحابه، وهذا الدعم غير متوفر لأن الفيلم الأوربي سواء كان فرنسياً أم ألمانياً أم من إيطاليا يعاني داخل بلده أمام هجوم الديكتاتور العالمي، الفيلم الأمريكي.

من حق أي منا أن ينادي بالمقاطعة نعم، فقاطعوا السندويتش« الأمريكي، لأن لدينا الفول والطعمية. وقاطعوا مكياج «ريلون» وماكس فاكتور، فلدينا مكياج كريستيان ديور، قاطعوا «كوداك» فلدينا البديل، ولكن هل نستطيع أن نقاطع النجمة «سوزان ساراندون» التي تلف فمها بشريط لاصق رافضة الحرب؟ هل نستطيع أن نقاطع «شون بين» الذي دفع ٦٥ ألف دولار من جيبه لإعلان صحفي لكي يقول لـ «بوش» لا ليس باسمي تذهب للحرب؟ ثم وهو الأهم هل نستطيع أن نقاطع أوركسترا نيرون التي مازالت تعزف ببراعة برغم احتراق روما؟ فأمام السينما الأمريكية يقف العالم، ولسنا وحدنا في ذلك يغني أغنية جماعية وراء نانسي عجرم ونقول «أخاصمك آه أسيبك لا».

جريدة القاهرة – مايو ٢٠٠٦

أحلى من الشرف ما فيش

كنت واحدة من ثلاثة ساقتهم الظروف لكشف جزء من قصة هزت المجتمع المصري، الإعلامي طوال الأسبوع الماضي، كان الزميل سيد علي بالأهرام قد تطرق لبرنامج هالة شو الذي عرض لقضية فتيات الليل، فكتب مقالاً بعنوان «نساء أوبرا وينفري ونسوان هالة سرحان» يهاجم فيه أسلوب عرض المذيعة المصرية للموضوع ذاته ويقارن بين النماذج التي تعرضها المذيعة المصرية مقارنة بالمذيعة الأمريكية، وعلى إثر نشر المقال اتصلت به أم إحدى الفتيات اللاتي ظهرن في البرنامج لتعلن له براءة ابنتها وأخريات وأن القصة مفبركة.

لم يصدق الزميل وطلب منها أن تحضر له في مقر عمله ليتأكد من صدق روايتها، وعرف بشير حسن الصحفي بالأهرام أيضاً ومعد برنامج ٩٠ دقيقة بالأمر، فحمل كاميرات البرنامج لحضور ذلك اللقاء في محاولة مضنية لإقناع البنات بالإدلاء بشهادتهن أمام الكاميرات، وكنت أنا الطرف الثالث الذي ساقته الظروف لحضور ذلك اللقاء ومعرفة ملابسات الأمر على الأقل من طرف واحد حتى هذا التوقيت، وتم بث حلقة تسعين دقيقة فانفجر لغم إعلامي وشعبي وتحول الأمر إلى موضوع في صفحات الحوادث حين تقدمت الفتيات الثلاث ببلاغ للنائب العام ضد هالة سرحان، وزاد الأمر انفجاراً على شبكة الإنترنت وركب الموجة هواة الشهرة من المحامين وبالتأكيد أعضاء مجلس الشعب، وتحولت دفة الحديث من أمر لو ثبت حدوثه لكان خطأ مهنياً قاتلاً من أشهر مذيعات الوطن العربي، إلى الحديث عن حب مصر وكرامة مصر وسمعة مصر.

ولم تعد قضية هالة سرحان وفتيات الليل تناقش في سياقها الطبيعي، سياق مهنة الإعلام الذي أصيب بالسعار، ولكنها تحولت إلى قضية سياسية ووطنية.. وفي حديث مثل هذا يتسابق المتبارون من محامين هواة للشهرة وأعضاء مجلس شعب يركبون الموجة ويتقدمون بطلبات إحاطة تضع أسماءهم على عناوين الأخبار

رغم أننا لم نسمع لهم صوتاً في حب مصر طوال إذاعة الحلقات، ولكنهم فقط انتفضوا بعد أن خرجت البنات بقصة تلفيق البرنامج، فأتعجب لم يكن حب سمعة مصر في قلوبهم طوال إذاعة أربع حلقات ثم فجأة تذكروه، وكما رآها البعض فرصة للمزايدة على مصر رآها آخرون فرصة للمعارضة، فانتهجت بعض صحف المعارضة الدفاع عن هالة سرحان.

لأن الحكومة ممثلة في النائب العام هي التي تتهمها، وتلك الأقلام تكره الحكومة فتسير بمبدأ من حبنا أحببناه وصار متاعنا متاعه ومن كرهنا كرهناه يخرم علينا اجتماعه، وهي تكره الحكومة لذا فعليها الدفاع عن هالة سرحان حتى هالة سرحان نفسها المتهمة، حين ظهرت على شاشات التليفزيون تدافع عن نفسها لم تهتم بالشق المهني لاتهامها، ولكنها أفردت أغلب دفاعها عن تاريخها في حب مصر و عطائها لمصر.

الكل فقد بوصلة الحوار وهدفه الرئيسي هو سؤال بسيط: هل فبركت هالة سرحان حديث بنات الليل ولم يكن واقعياً أم لا؟ والإجابة لا تحتمل سوى: إن فعلت فقد أخطأت في مهنتها وعليها أن تدفع الثمن مهنياً داخل المؤسسة التي تعمل بها وأمام جمهور ستفقد مصداقيتها أمامه، وإن لم تفعل فهي بريئة في شق وعلينا أن نحول دفة الحديث لأسلوب التناول الإعلامي لمثل هذه القضايا، وقد نختلف أو نتفق حول هذا.

ولكن كيف يتأتى لنا حديث عاقل موضوعي في مجتمع صارت النميمة فيه حقيقة، والكذب فيه واقعاً والدين حجاباً والمعارضة صراخاً والرشف بكارة يمكن ترقيعه، وأتوقف متعجبة أنه لا أحد يشعر بالرعب مما نحن فيه، فلا الذين يدافعون عن هالة سرحان بمنطق المعارضة ولا الذين يهاجمونها بمنطق حب مصر قد تنبهوا بأن محاكمتها بهذه التهمة سيضع الجميع يوماً في قفص الاتهام لأن أياً منهم لو خرج على المشاهدين في أي محطة فضائية ينتقد شيئاً سلبياً في تلك البلاد سيحاكم بنفس المنطق منطق حب مصر

وشرف مصر.

نقطة نظام

- لا أستطيع أن أحترم تماماً شهادة الفتيات الثلاث، فالفتيات لو صح كلامهن معناه أنهن شاركن في خديعة الناس ولا يبرر لهن الفقر أو الانبهار المشاركة في الجرم، وإلا بهذه الحجة سيخرج ٨٥٪ من الشعب المصري، الذي يعيش تحت خط الفقر، ليقتل أو يتمرغ في الرذيلة أو يسرق بنفس الحجة - الاحتياج وهو ما يذكرني بأفلام حسن الإمام حين كان يفطر قلوبنا على بطلاته بنات الليل بحجة الأم المشلولة أو الابن الصغير وهو منطق الدراما السينمائية وليس الواقعية أو القانونية.

- كنت أتمنى من منطلق الشفافية وإبراء الذمة والموضوعية أمام الرأي العام أن ينأى الزملاء الصحفيون الذين يعملون في قناة «روتانا» ويتقاضون منها مرتبات وهم كثر، وكذلك العاملون في محطات منافسة، كنت أتمنى ألا يدلوا بدلوهم في هذه القضية وكأنهم ممن يتحدثون لمصلحة الوطن، قد يكونون شهوداً على وقائع ستحقق فيها النيابة، ولكن أن يكتبوا بمنطق العوام وكأنهم لا ناقة لهم ولا جمل في هذه القضية خطأ مهني يضاف لكثير من الخطايا التي تلفنا.

جريدة المصري اليوم - فبراير ٢٠٠٧

أفلام تسقط كرامة وهيبة الدولة

ما بين السينما والسياسة علاقة تبدو مثل خيط غير مرئي من الحرير، عادة ما يتجاوزه غالبية الناس عندما يرون الأفلام إلا حين يحمل الفيلم خاتم الوطنية أو يحكي عن حرب ترتفع فيها الأعلام والبنادق .. والحق أن السينما حتى بأفلامها الهزلية هي انعكاس لحالة سياسية بائسة أو لامعة.

ونظرة على الموسم السينمائي الحالي تعطي انطباعاً بأن المخاض الذي جعل الصحافة تتمرد على تابوهات ومحرمات الجنس والدين والسياسة قد انتقل إلى الشارع المصري في صورة اعتصامات ومظاهرات.. هذا المخاض وصل إلى السينما وأفلامها.. فكما خرجت الصحافة من أسرها.. خرجت السينما من أسرها أيضاً.

هناك أربعة أفلام يشاهدها الجمهور الآن تشبه الحالة الصحفية، أفلام تتحدى تابوهات المجتمع دون أن يستطيع أحد اتهامها بأنها أفلام مخلة، وقد دفعت كثيراً من الأقلام السياسية إلى الخوض فيها حتى سارت مجالاً للعراك بين الصحافة القومية والصحافة المعارضة، فهل دخلت السينما حالة الفوران الذي سبقته إليها الصحافة؟

الأفلام الأربعة مع تفاوت مستوياتها الفنية هي حالة رصد من زوايا مختلفة لواقع فيه كثير من البؤس والغضب أغلبه صب نيران غضبه على رأس وزارة الداخلية التي لا تمثل نفسها فقط، ولكنها تمثل الجهاز التنفيذي لنظام يحمل وجوهاً من القبح ويدفع إلى غضب طوائف مختلفة ضده.

كانت الشرطة دوماً في تراثنا السينمائي في خدمة الشعب، وكان رجل الشرطة هو ممثل

العدل والنزاهة والفداء من أجل البسطاء، كان أنور وجدي بطلاً وهو يلعب دور رجل بوليس، وكذلك رشدي أباظة وصلاح ذو الفقار وعماد حمدي.. في زمن الأبيض والأسود، وحتي في زمن الألوان، فإن ذلك تكرر في «كلمة شرف» لرشدي أباظة وفريد شوقي، وفي عالم الكوميديا كان رجل الشرطة هو إسماعيل ياسين وشرفنطح وغيرهما ممن يعشقهم جمهور السينما فيضحك معهم وعليهم.

وتغير الزمن والمجتمع والنظام ولم يعد رجل الشرطة في السينما كما كان من قبل، فكما تجرأت الشرطة على الناس ودفعت الصحافة إلى الهجوم عليها بالكلمة فإنها دفعت السينما أيضاً للهجوم عليها، والدليل على ذلك الأفلام الأربعة الأخيرة.. هاجمتها بتفاوت وإن كانت كل الأفلام التي كتبت عن فيلم «هي فوضى» رأت أن هذا الفيلم هو مصدر الإهانة الأولى للسلطة ممثلة في أمين الشرطة خالد صالح إلا أنني رأيت جانباً آخر فبقدر ما صور الفيلم فساد الرجل إلا أنه لم ينزع عنه ورق التوت، لأنه أبقاه محباً يحرك الحب كل أفعاله حتى حين اغتصب محبوبته منة شلبي فكان اغتصابه لها دافعاً لكي ترتبط به ويحلم أن ينجب منها طفلاً، حب مريض نعم ولكنه حب، وكأنني أرى في خالد صالح رجل الشرطة الفاسد جزءاً إنسانياً لم يفقده حتى رغم الفوضى، رجل الشرطة في «هي فوضى» فساده هو الذي قتله في فيلم عالي الصوت، بينما في فيلم آخر وهو «الجزيرة» لا يرتفع صوته ولكنه يحكي بصوت منخفض عميق عن قصة صعود مملكة خاصة للإجرام بعيداً عن القاهرة الصاخبة في فيلم يبدأ بصورة النيل الهادئ ليحكي عن الأب الذي بدأ تاجراً للمخدرات في صعيد مصر، ثم تحول إلى زعيم وحاكم بأمره على بشر، ولم يتردد في أن يورث ابنه المتعلم الذي خدم في الجيش مملكته.. وكما أن الشرطة صنعت قوة الأب فإنها هي أيضاً التي ساهمت في نفوذ الابن.

في «الجزيرة» إدانة أكبر وأعمق للشرطة من فيلم «هي فوضى» لأنها ليست حالة فردية ولكنها حالة فكر ينتقل من أب إلى ابنه أو زوج ابنته، فمصدر السلطة والفساد استمرا حتى نهاية الفيلم، ولم يموتا كما حدث في «هي فوضى» فسلالة كل من قطبي اللعبة مستمرة.

الشرطة هي بطلة هذا الموسم السينمائي، ففي فيلم «حين ميسرة» قال سامح الصريطي

اللواء الكبير للضابط الصغير أحمد سعيد عبدالغني عبارة «السلطة ملهاش كرامة» فصفق الجمهور في دار العرض، ولكنه حين أكمل العبارة بقوله «لكن لازم يكون ليها هيبة»، انقطع الضحك والتصفيق، وتذكر الجمهور الواقع الذي يعيشه فصمت، وحتي حين قتل الضابط في فيلم أضعف فنياً هو «خارج عى القانون»، والذي قام بدوره أيضاً أحمد سعيد عبدالغني، لا أظن أن الجمهور تعاطف معه، لأنه كان يشعر بأنه كاذب ورط البطل حتى لو كان البطل مجرماً، ولكنه مجبر على الإجرام، فكأن الفيلم رغم ضعفه مقارنة بالأفلام الأخرى يدين أبو الشريط الأحمر المعروف باسم ضابط الشرطة أو الجهاز التنفيذي للسلطة التي ليست لها كرامة، ولكنها صاحبة هيبة ولكن حين يقف السقا في نهاية الفيلم قائلا: أنا الحكومة ويصفق له الجمهور يعني أن السينما هذا الموسم أفقدت السلطة كرامتها وهيبتها.

جريدة الفجر - ديسمبر ٢٠٠٧

حرب الأديان على المحور

إعلامنا المرئي يحتوي على كثير من الصراخ والغناء والرقص والبكاء وحديث عن فضيلة غائبة حتى عن بعض الذين يتحدثون عنها وحكايات، وأفلام ومسلسلات، فحياتنا الأرضية والفضائية صارت شديدة الصخب، فماعد يستوقفنا إلا القليل منها، إما لأنها كارثة أو طائشة أو صائبة غائبة.

الحالة الكارثية: استضاف برنامج «٩٠ دقيقة» الذي يذاع على قناة «المحور» في حلقة الثلاثاء الماضي الدكتورة زينب عبدالعزيز أستاذة الأدب الفرنسي التي ترجمت القرآن إلى الفرنسية منذ سنوات في سابقة أولى بمبادرة شخصية، هو عمل جد عظيم بالتأكيد ولو كان هذا سبب استضافتها لصفقت للقائمين على البرنامج، المعد بشير حسن والمقدم معتز الدمرداش، وبالفعل كان ٩٠ دقيقة قد استضاف الدكتورة زينب منذ عام ونصف العام لهذا الحدث، ولكن الدكتورة جاءت إلى البرنامج كضيفة تتحدث عن المؤامرة التي يحيكها الفاتيكان منذ القرن السادس عشر الميلادي ضد الإسلام، فهي كما قالت: إن المجمع البابوي منذ ذاك التاريخ وضع نصب عينيه ثلاثة أهداف، الأول تبرئة اليهود من دم المسيح والثاني إضعاف الشيوعيين ثم إنهاء فكرتها، والهدف الثالث أنه مع قدوم الألفية الثالثة يمحو الإسلام من على خريطة البشرية عن طريق التبشير!!

وأضافت الدكتورة، أنه بما أن الهدفين الأولين قد تما فلم يعد أمامهم إلا الهدف الثالث، وأن التبشير يحدث في المناطق الكارثية المسلمة مثل دارفور، وعرجت الدكتورة في حديثها إلى تفسيرها في معنى الثالوث المقدس والخوض في أن التحاور مع المسيحيين قائم

على غير معنى لأنهم يعبدون ربا غير رب المسلمين - يا نهار أسود - هذه هي العبارة الوحيدة التي ظلت تتردد على لساني وأنا أرى معتز الدمرداش وهو محاور قدير في حالة عجز عن المحاورة كما هو معتاد لأن الأمر تعدى المعقول في الحديث، وإذ بي أجد البرنامج يطلب الأب رفيق جريس ليرد على ما تقوله الدكتورة ولولا أنني كنت متأكدة من هوية القناة واسمها لقلت إنها قناة مدسوسة على مصر!!

حرية الإعلام والحديث وبرامج المساء كلها كوم وأن نصل إلى هذه الدرجة من الاستعداء بين الدينين الإسلامي والمسيحي - كوم آخر، آلاف الأسئلة تزاحمت في عقلي فما هذا الذي يتحدثون عنه في بلد تلملم بين الحين والآخر جراحها الطائفية، وما الهدف من طرح المؤامرة العالمية على الإسلام في برنامج جماهيري؟ وما الهدف من المناظرة التي طرحها البرنامج بين مسلمة ومسيحي حول اختلاف رب المسيحيين عن المسلمين؟ وهل كان القائمون على البرنامج مدركين معنى وهدف طرح مثل هذا الأمر؟

أنا مسلمة - موحدة بالله - ولكني تربيت منذ سنين في مدرسة تتبع كنيسة ونفس هذه المدرسة برهبانها وقساوستها هم الذين بنوا جامعا صغيرا بمئذنة ليعلمونا كيف نصلي نحن الفتيات الصغيرات المسلمات، فعلوا هذا دون قانون أو إجبار ولم يقولوا لنا إن ربنا غير ربهم بل علمونا أن الرب واحد والطرق مختلفة، فما الذي حدث لهذا البلد وهل يصل سعار الإعلام إلى هذه الدرجة من اللامسئولة حول أمور هي النار بعينها، ضعف الإسلام هو نتيجة عمل المسلمين وليس نتيجة قوافل التبشير، أليس للمسلمين رجال دين من الأزهر ينتقلون من بلد إلى بلد فلم لا يبشرون بالإسلام كأقرانهم من الرهبان؟ عشرات من الأسئلة تدفعنا لأمور نناقشها كمسلمين على حدة ومسيحيين على حدة، ولكم دينكم ولي دين، ولكن على الكل مسيحي ومسلم إعلامي أو صحفي أن يتقي الله في بلد يكفيها ما فيها ولكم في لبنان عبرة يا أهل الإعلام.

جريدة الفجر - يناير ٢٠٠٨

برامج الليل تعري مصر

أربعة برامج يومية تذاع على قنوات فضائية أقدمها «القاهرة اليوم» على قناة أوربت، ثم «البيت بيتك» على القناة الثانية والفضائية المصرية، ثم «العاشرة» على قناة دريم، وأخيرا «٩٠ دقيقة» على المحور وقريبا جدا سيلحقها «ساعة بساعة» الذي سيذاع على قناة الساعة هذه البرامج يقولون عنها خطأ إنها برامج توك شو ولكنها في التصنيف الإعلامي يطلق عليها معتز الدمرداش كغيره من أصحاب البرامج، قال لي إن ضميره المهني هو قانونه الخاص وهي العبارة التي قالها لي كل نجوم المذيعين ولكن المشكلة أن تعبير الضمير المهني قد يختلف من شخص لآخر في فضائيات لا يوجد لها ميثاق شرف ملزم، فمعتز قد اعتذر بالفعل على الهواء مباشرة عن استضافته للدكتورة زينب عبدالعزيز التي تحدثت عن المؤامرة المسيحية ضد الإسلام، ولكن هل الاعتذار سيمحو ما قيل على الهواء، فالكلمة في الإعلام طلقة رصاص إذا خرجت لا تعود أبدا إلى مكانها حتى بالاعتذار.

معتز الدمرداش أضاف أخيرا أنه قرر أن يبتعد قليلا عن الثقافة السوداوية ويبحث عن ثقافة الحلول لمشاكل مصر، فكفانا كما قال عرض المشاكل نريد أن نعرض حلولا للمشاكل.

تامر أمين يمثل برنامج «البيت بيتك» الذي يعتبره البعض برنامجاً يبيِّض أحيانا وجه الحكومة وحتى وإن اختلف معها فاختلافه محسوب بقدر، تامر يقول إن تقاليد برنامج «البيت بيتك» مختلفة عن البرامج الأخرى ولهذا فهم لم يستضيفوا ماهر الجندي ولكن

اتصلوا به تليفونيا لمدة دقيقتين باعتبار أن الإفراج عنه خبر ولكن استضافته إضفاء لبطولة على شخصية سياسية متهمة بالفساد هو شيء مرفوض، ويضيف تامر أمين: "ن «البيت بيتك» له كتالوج موقع عليه من قبل كل العاملين به ويحتوي على ما يجب وما لا يجب أن يظهر أو يتم تناوله في البرنامج، وهذا الكتالوج يتم إضافة بنود له أو إلغاء بعضها بعد الاتفاق بين كل الأطراف وتماما كمعتز الدمرداش ومنى الشاذلي وغيرهما، قال تامر أمين إن ضميره المهني هو الرقيب الوحيد عليه وبالتالي فهو رافض لأي وصاية على الإعلام إلا من ميثاق شرف.

خيري رمضان كان أحد نجوم برنامج «القاهرة اليوم» ومنه انتقل إلى قناة الساعة ليقدم برنامج سعة بساعة والذي سيكون على غرار برامج المساء، خيري متهم بالسعي من حضن الإعلام السعودي إلى أحضان الإعلام الليبي، وأنه يشارك في كشف عورات مصر ولا يجرؤ كغيره على كشف عورات السعودية حين كان يعمل في محطة تدار بأموالها أو أنه سيفعل مع ليبيا وهو يعمل بأموالها.. هي اتهامات ألقيتها على مسامعه فكان صدره رحبا فطرح عليّ تساؤلا حين قال: هل لبرامج التي تعرض على القناة الثالثة للتليفزيون لمشاكل المواطنين وتظهر كثيرا من عوراتنا هي برامج ضد مصر ومن يعمل فيها وهم موظفون في الدولة يعملون ضد مصر؟

خيري رمضان أكد أنه على مدى ٨ سنوات عمل في محطة أوربت السعودية لم يلتق فيها بأحد السعوديين ليملي عليه شيئا ضد مصر، بل على العكس كانوا ينتقدونه لأنه أحيانا يكون حادا ويضيف خيري رمضان، أنه الآن يعمل في محطة ٥١٪ من رأسمالها ليبي و٤٩٪ لبناني، وهاتان الدولتان ليستا على قائمة أعداء مصر وإلا اعتبرنا أن كل من يعمل في جريدة أو محطة عربية يكره مصر، وهو اتهام كاذب بل إنه يضيف أنه لا يأخذ فلوساً من مصر بل هو يدخل لمصر «فلوساً» وهذا ليس اتهاما بل شرف.

وعن الضوابط الإعلامية وفكرة الضمير المهني يقول خيري رمضان: أنا مع أن يضع وزير الإعلام ضوابط بحكم القانون، ثم نأتي للضمير المهني لأن الأخير متغير من شخص لآخر وهذا فهو يقبل أن توقع عليه عقوبة إذا خالف القانون.

ويري خيري رمضان أن برامج المساء الحوارية قد أفادت القيادة السياسية حين نقلت

إليها الشارع بحقيقته، وليس مزيفا وأن الشارع ستحدث فيه في الفترة القادمة حالة توازن وهو نفس الذي سيحدث في هذه البرامج التي تعبر عنه.

كل الذين تحدثت معهم من نجوم الفضائيات والبرامج تحدثوا عن حب مصر، وأنا لا أكذبهم وكلهم تحدثوا عن الضمير المهني وأنا أصدقهم، ولكن هل حب مصر ووجود ضمير يكفي لصنع إعلام نطمح لأن يمثلنا دون زيف أو مبالغة؟!

جريدة الفجر - يناير ٢٠٠٨

obeikan.com

برامج تصدير الوهم

بانتهاء ليلة الأربعاء من هذا الأسبوع تسدل الفضائيات العربية وحتي القناة الثانية الأرضية والفضائية المصرية الهايد بارك المفتوح المسمى، ببرامج التوك شو الليلية.. ولكن أخيراً انتهجت قناتا دريم والمحور نهجا مختلفا بوضعهم على خريطة برامجهم يومي الخميس والجمعة برنامجي واحد من الناس على دريم، وبرنامج ٤٨ ساعة على المحور، وهي برامج تبدو بديلا أو سداً لفراغ يومي نهاية الأسبوع بالنسبة لبرامج التوك شو الليلية أو ربما ضمانا لخلو الساحة مما قد يدفع امشاهد لمتابعتها.

واحد من الناس على المحور برنامج يعده ويقدمه عمرو الليثي ويعاد مرتين يوم الجمعة والسبت، وربما أكثر وهو بذلك يضمن حالة إلحاح على المشاهد تشبه إلى حد ما البرنامج اليومي، وهو صورة من صور المجلة التليفزيونية التي تحوي التحقيق والحوار ومختلف الفنون الصحفية أولا ثم التليفزيونية فيما بعد.

بالتأكيد حلقات البرنامج التي أذيعت حتى الآن تحوي مجهودا غير منكر، وبالتأكيد أيضا أن عمرو الليثي استطاع أن يقدم قالبا مختلفا عما يقدمه على التليفزيون المصري من خلال برنامجه «اختراق» الذي يبحث في التاريخ أكثر مما يبحث في الحاضر أو يفتش في المستقبل، وكأن الليثي قد استغل أنه خرج من أحضان التليفزيون الحكومي ليطلق حريته في الحديث، ولكن ليس في الماضي كما يفعل مع الحكومة التي لن يضيرها حديث الماضي، ولكنه على دريم القناة الخاصة يفتش في الحاضر، في مصر الآن، ولا عيب على عمرو الليثي في ذلك فلكل مقام مقال، ولمقام قناة دريم مقال في الحاضر.

ولكن مشكلة برنامج «واحد من الناس» المأخوذ اسمه عن فيلم لبلال فضل وبطولة كريم عبدالعزيز، أنه قرر أن يكون حتى الآن ميلودراما بأسلوب حسن الإمام أكثر من حسن الإمام نفسه.

ففي الحلقة الأولى كان تحقيقه عن سكان المقابر وبعدها عزبة خيرالله ومناطق عشوائية أخرى ثم بعدها عن فتيات تم الاعتداء عليهن من بنات الشوارع، وأنا بالتأكيد لا أنكر وجود هذه الظواهر في مجتمعنا بل أكثر، ولكني أنكر الأسلوب الذي عالج به الإعلامي عمرو الليثي هذه الموضوعات، وأعرف مسبقا أني برأيي سأسير في حدائق الأشواك. ولكن ما قيمة ألا تدمي أرجلنا في سبيل كلمة حق لا يراد بها باطل!!

الفقراء في بلادنا كثيرون وبنات الشوارع منتهكات بأكثر كثيرا من الاغتصاب، ولكن ما قيمة إعلام يلطم عليهم الخدود ويشق الجيوب ويوجع قلب المشاهدين ويكتفي بأن يقول على لسان المذيع: ياريت تبقى الحكومة عندها دم وتحس، وكأن الإعلام الخاص مهمته الأولى والوحيدة هي نغز الحكومة وهي بالفعل تستحق النغز والضرب كثيرا والجلد أحيانا ولكن الشعب والناس أيضا تستحق النغز والجلد بعض الوقت.

فكثير من الأسر التي وقفت حول عمرو الليثي في المقابر والعشوائيات وراحت تشكو فقر الحال وصعوبة الأيام يزيد عددها أفرادها على أقل تقدير على عشرة، ألم يستوقف ذلك الإعلامي ليوجه لهم ولمشاهدين آخرين بالتبعية، رسالة بأن الفقر وضعف الحال يستوجبان أن يتوقفوا عن هذه الزيادة وأن يكتفوا من العيال بواحد أو اثنين على أكثر تقدير حتى تهون العيشة ولو قليلا؟ ألم يخطر على بال الإعلامي أن يشير إلى أزمة هجرة الريف إلى العاصمة وماذا فعلت بنا؟

ولكني أظن - وليس كل الظن إثما - أن لعن الحكومة ليل نهار أضمن لدى الإعلاميين الفضائيين لكثافة المشاهدة ويسبغ عليهم صفات المعارضة والقوة وعدم الخوف من لومة لائم، فبالتأكيد من الأسهل أن تكون معارضا للحكومة من أن تكون معارضا لخطايا شعب خاصة من الفقراء.

لا أنكر أن عمرو الليثي في برنامجه سيقدم ٩٣ وظيفة لشباب في وزارة البترول عن طريق القرعة، وسيسهم في مساعدة البعض بالجهاز للزواج عن طريق إحدى الجمعيات

الخيرية، وهي مهام لا أنكر قيمتها ولكن أليس الأهم من توظيف ٩٣ شابا وتجهيز عدد من العرائس تعليم شعب وتنبيهه إلى خطاياه؟

٤٨ ساعة على المحور مع الكاتب الصحفي سيد على وهناء السمري وإعداد بشير حسن المعد السابق لبرنامج ٩٠ دقيقة، والزميل الصحفي، برنامج أيضا من نوعية المجلة التليفزيونية وهو لا يختلف عن ٩٠ دقيقة في شيء حتى إن أحيانا مراسلي التقارير تكون في أيديهم ميكروفونات ٩٠ دقيقة و٤٨ ساعة في ذات الوقت، فكأنها قناة تنافس نفسها ببرنامجين حتى إن استخدام رجل وامرأة في تقديمه يمثل تشابها لا أرى فيه إلا تماثلاً مع ٩٠ دقيقة.

سيد على صحفي وصاحب رأي لامع على صفحات الأهرام والمصري اليوم، وكان يقدم على نفس القناة برنامجا باسم ببساطة، وهو نفس اسم عموده في الأهرام وبالتالي فهو ليس جديدا أو غريبا عن القناة، فبالإضافة إلى هناء السمري التي كانت مراسلة للرئاسة في قطاع الأخبار، وبالتالي كان ظهورها محدودا على تليفزيون الدولة بأخبار الرئاسة حتى لو كثرت، ولكنها لأول مرة تتحول إلى مذيعة حقيقية تناور وتختلف وتناقش، وهو ما لم يكن متاحا لها في الرئاسة وأظنها غير موفقة فالكيمياء بين قطبي أي برنامج تنعكس عليه، وكيمياء هناء السمري مع سيد على ثقيلة جدا ومن الغريب أن مذيعة كانت مندوبة الرئاسة تفتقر إلى كثير من الخطأ في مخارج الحروف العربية، وبالتحديد الدال التي تنطقها «تال» وعفوا أنا لا أقصد هنا إهانة أو استهانة ولكن كيف لا تتدرب مذيعة محترفة على نطق الحروف العربية بشكل صحيح وأرجو ألا يكون ذلك مقصده الدلع مثلا.

والحق أن الكيمياء بين المذيعين ونطق هناء السمري والديكور الخطأ لا يمثلون فقط مشكلة ٤٨ ساعة، ولكن كيف ببرنامج يأتي بضيف ثابت وهو الدكتور عادل عبدالعال صاحب قضايا سابقة وفضائح على الهواء، وهو ليس بطبيب ليجلس أمام المشاهدين يتلقي اتصالات لعلاج السرطان وأمراض أخرى بنصائح عن الكرنب وغيره الدكتور عادل عبدالعال.

خطأ فادح وسنا هنا بصدد إحصاء الا امات والحكايات المنسوبة للدكتور المعالج الذي ليس بطبيب، فكيف بقناة وبرنامج يبحث عن مصداقية فيصدر نفسه في بدايته بهذا

التزييف.

ألا يكفي قناة المحور برنامج الأحلام لبطله الشيخ سيد حمدي الذي يصدر الوهم ووجوده على الشاشة وتفسيراته للأحلام كفيلة بتغييب شعوب بأكملها.

الشيخ سيد حمدي الذي أعلن - لا فض فوه - في أحدث حلقاته هذا الأسبوع أن إنفلونزا الخنازير انتقام من الله للغرب لأنهم يأكلون الخنازير، ونسي أن يقول لنا لماذا ينتقم منا الله بإنفلونزا الطيور التي أحلها المولي عز وجل؟!

من الغريب والمثير أن قناة المحور هي أول فضائية مصرية خاصة، فهي الأقدم ولكنها قناة لا تتعلم أبدا من أخطائها أو أخطاء غيرها، كلما بدا فيها إشراق كلما تراجعت بأسرع مما تتقدم، فهل هي مشكلة إدارة أم رؤية إعلامية محدودة أم أشياء أخري؟

الفضائيات المصرية الخاصة هي حصن لنا في السماء وظهر نستند عليه حين لا يسندنا تليفزيون الحكومة، فلهم علينا حق المشاهدة ولنا عليهم حق النقد حتى لو كانوا يعملون بفلوسهم، لأنهم يعملون على عقولنا.

جريدة الفجر - مايو ٢٠٠٨

مقدمة حديثة لموضوع قديم

في يوم ٦ أبريل عام ٢٠٠٨، حدثت اضطرابات شعبية عمالية انطلقت من مدينة المحلة الكبرى، وتعامل معها الأمن معاملة قاسية ولكنها في ذلك الوقت ألهمت مجموعة من الشباب المتعاملين على الفيس بوك إلى نواة لثورة من نوع جديد لم يألفها لا أهل مصر ولا غيرهم، وأنتجت عدة مجموعات افتراضية على الإنترنت، وفي ذلك الوقت بدأت كلمة الفيس بوك تتردد بقوة في وسائل الإعلام.

ورغم أن الفيس بوك كان شبكة اجتماعية ظهرت للعالم قبل ذلك بسنوات فإن تداول هذه العبارة كان جديداً في مصر وخاصة بالنسبة للنخبة السياسية وكثير من الكبار الذين كانت تُعد علاقتهم بالتكنولوجيا الحديثة ووسائل اتصالها محدودة، وفى ذلك الوقت من عام ٢٠٠٨ لم أكن أنا الأخرى أزعم من بين قلائل من الصحفيين الذين مازالوا يستخدمون الكتابة بالقلم والورقة وليس على الكي بورد Keyboord، ولكني مدفوعة بالبحث في حياة جديدة وأدوات حديثة للاتصال بحثت عن الفيس بوك وبحثت في اليوتيوب أو هذه الماسورة السحرية التي تنقل لنا ما لا يمكن أن تصل إليه يد أو عين كل كاميرات العالم المتخصصة.

ومن الغريب والمثير أن في ذلك الوقت صار الفيس بوك وشبابه مثاراً للسخرية والانتقاد من أهل الحكم كجمال مبارك وأهل لمعارضة، فحين سُئل جمال مبارك عنهم في مؤتمر صحفي ضحك ساخراً، وحين تحدث عنهم أحد أقطاب المعارضة آنذاك رفعت السعيد رئيس حزب التجمع قال إنهم شباب لاسع بمعنى الكلمة السلبي، ولذا فكا:

لزاما عليّ أن أكتب عنهم عام ٢٠٠٨ دفاعاً أمام حكومة ومعارضة قاصرة النظر، وطبعاً لم يكن على الإطلاق في مخيلتي من بعيد أو قريب ما سيحدث بعد ذلك بسنوات من الثورة الحقيقية للفيس بوك وليست الافتراضية، ولذا لا أدعي بإعادة نشر هذا المقال الآن أني كنت بعيدة النظر أو مبصرة بالمستقبل لكنني فقط أشير بكلمات ورأي كتبته في مواجهة حكومة ومعارضة اجتمعا للأسف على جهالة في العقل والمشاعر.

حنان شومان ٢٠١٢

obeikan.com

شباب لاسع فن وابتكار

فجأة صار الفيس بوك واليوتيوب وهؤلاء الشباب المتعاملون عليه حديث مصر، وقد وجدتني مدفوعة للبحث عنهم وبسبب التداعيات الأخيرة في المجتمع المصري على المستوى السياسي والاجتماعي والصحفي والأمني بالتأكيد، بحثت عن وجوه وحديث شباب نعتهم أحد أقطاب حزب التجمع رفعت السعيد بأنهم شباب «لاسع» واتهمتهم أجهزة الدولة بعد إضراب أبريل بأنهم مخربون وبعضهم دفع أياما من عمره في السجن لمجرد رأي كتبه على شاشة.

صار بعض شباب الفيس بوك واليوتيوب أبطالا وبعضهم صار متهما وآخرون صاروا نجوما في بؤرة الضوء، وصرت أنا مدفوعة للبحث عن هؤلاء الشباب عبر الإنترنت، رغم أني لست من هؤلاء المصابين بهوس التكنولوجيا الحديثة فوجدت عالما من الفن والفنانين لم يكتشفهم أحد ولكن اكتشفوا أنفسهم وقدموا فنونهم بكاميرات الموبايل وكاميرات صغيرة، فإن كانت أجهزة الدولة قد وجدت في الفيس بوك واليوتيوب حكاية أمنية وسياسية وآخرون وجدوا فيه مواقع إباحية إلا أن لكل حكاية ألف وجه وقد رأيت في اليوتيوب حكاية أخرى.

بداية الحكاية: اليوتيوب هو موقع لأفلام الفيديو يسمح لمستخدميه بأن يحمّلوا عليه أفلاما قصيرة تخصهم أو تخص غيرهم ويتبادلوا مشاهدتها وقد بدأ بث هذا الموقع في فبراير عام ٢٠٠٥، وفي أكتوبر عام ٢٠٠٦ اشترت جوجل هذا الموقع بـ ١,٦٥ بليون دولار.

وفي يوليو ٢٠٠٦ أعلنت الشركة أن أكثر من مائة مليون فيلم فيديو تتم مشاهدتها يوميا على هذا الموقع، وفي يناير عام ٢٠٠٨، أكثر من ٧٩ مليون مستخدم شاهدوا أكثر من ٣ بلايين فيلم فيديو قدمه هؤلاء الشباب المتعاملون مع هذا الموقع.

مجرد رصد لأرقام وجب علينا أن نقرأه جيدا حتى نتصور ما نحن أمامه من تغيير في العالم الذي نحياه، والذي لم تعد فيه الصحف ولا محطات التليفزيون ولا السينما هي فقط العامل المؤثر في شبابنا.

في عام ٢٠٠٦، أشارت وسائل الإعلام الأمريكية إلى دور اليوتيوب في خسارة السيناتور الجمهوري جورج آلان للانتخابات، حيث وضع على الموقع كليب له وهو يتحدث بشكل عنصري ضد بعض فئات المجتمع الأمريكي، مما أثر على شعبيته فخسر الانتخابات، وفي معركة الانتخابات الرئاسية الأمريكية حاليا يستخدم المرشحون رون بول وهيلاري كلينتون وباراك أوباما اليوتيوب للتسويق لأنفسهم، حتى السياسيين الفرنسيين والإيطاليين مثل أنطونيو دي بيترو وجون هوارد رئيس وزراء أستراليا صار لديهم هوس التسويق لأفكارهم عن طريق اليوتيوب.

منذ بداية عمل هذا الموقع تم غلقه في عدة دول لبعض الوقت مثل تايلاند وإيران وتركيا والإمارات وباكستان.. فمثلا تركيا قد منعته لمدة يومين في أكتوبر عام ٢٠٠٧، وباكستان اعتبرت نشر الرسوم المسيئة للرسول على الموقع سببا لإغلاق الموقع، لكن لمدة ٣ أيام فقط، حيث استطاع الآلاف التحايل على غلق السلطات للموقع باستخدام وسائل أخرى للوصول إليه مما دعا السلطات لإعادة فتحه بعد إلغاء هذه الرسوم من على الموقع، قد تراقب الدول - ولأسباب- هذا الموقع وقد تمنعه لساعات أو أيام ولكنها أبدا لا تستطيع أن تقف في وجه طوفان تكنولوجيا لا تعرف التوقف أو المنع..في عام ٢٠٠٦ قرر الموقع أن يقدم جائزة لأفضل فيديو يتم تقديمه أو أكثرهم ابتكارا والتصويت قائم بين المتعاملين على الموقع.

لكل حكاية كما قلت ألف وجه فمخطئ من يتصور أنه امتلك الحقيقة وبالتالي مخطئ من يتصور أن بعض الكليبات الإباحية هي أهم ما هو موجود على هذا الموقع الذي لو فتحته ستجد أن هناك عالما يجب عليك اكتشافه، وأن الفنانين غير المكتشفين في مصر أكثر

كثيرا مع هؤلاء الذين نراهم على الساحة ستجد عشرات ومئات من المضحكين الأذكياء، ستجد مئات وآلافاً من الموهوبين بأقل الإمكانات، ستجد فلاحين وصعايدة يغنون وشبابا في الجيش يرقص، ستجد جرافيك عبقرياً للرئيس أنور السادات وهو يحدث الشعب المصري من السماء، ستجد كليباً باسم «مساطيل الفراعنة» يصور فيه الشباب تصورهم كيف كان الفراعنة يقعون تحت سطوة المخدرات، ستجد ألف عمرو دياب وألف محمد سعد والآلاف من الموهوبين، ستجد شبابا يبعثون في أغنية محمد رشدي دامت لمين برسالة سياسية، ستجد جرافيك لخناقة ميدو وحسن شحاتة الشهيرة، صحيح استخدم فيها صناع الكليب عبارات نابية ولكنه شديد الابتكار من الناحية التقنية والفنية..

اليوتيوب والفيس بوك صارا هايدر بارك مصر التي لا تعرف إلا الحدائق المغلقة بأسوار من الحديد، منذ سنوات قليلة كان أبطال فيلم ورقة شفرة أحمد فهمي وهشام ماجد وشيكو، مجرد وجوه معروفة ومحببة لشباب الفيس بوك واليوتيوب فهم أبطال فيلم رجال لا تعرف المستحيل الذي صوروه على غرار فيلم الطريق إلى إيلات ولكن بشكل ساخر، هؤلاء الشباب تعرضوا بسبب هذا الفيلم لتحقيق في أمن الدولة ولكن الخوف من التحقيق لم يمنع المعجبين بهم من الاستمرار في عرض الفيلم ومشاهدته وتبادله على الإنترنت، وقد تحولو من نجوم على موقع إلى نجوم على الشاشة فمن يدري ربما يكون الدور قادما على غيرهم فإذا شاهدت اليوتيوب ستعرف أن مصر مهما كانت مهمومة ومنكسرة مازالت تستطيع أن تضحك وتفكر وتعترض حتى لو على أسلاك من كهرباء في زمن الكلام فيه عن الرقابة صار عبثا، وأن نختصر موهبتهم في جملة أنهم شباب لاسع، كما قال رفعت السعيد هو اللسعان نفسه.

جريدة الفجر - يونيه ٢٠٠٨

اشحن الكارت تدخل الجنة

الطبيعي أن الصيام يجعل الإنسان أكثر إحساساً بمعاناة المحتاجين. لكن رمضان التليفزيون والإعلانات والبيزنيس قلب الآية وجعل الفقراء يحلمون طوال الوقت بالغنى والثراء والانتقال من خانة الجوع والعطش إلى خانة السيارة والشقة والفيللا والحج والعمرة.

وفي رمضان يصوم البعض عن الطعام والشراب نهاراً. لكنهم يدفعون ثمن هذا الصيام ليلاً ونهاراً والذين يحلمون بالجنة تختلط بأحلامهم جنة أخرى من سيارات وملايين. تسير على الشاشات في عالم افتراضي ملون يغزو يومهم ويقلب حياتهم دون أن يعرفوا أنهم يسددون مئات ضعف ثمن أحلامهم المستحيلة مليم فوق آخر، وقرش بجوار ربع جنيه، سعر المكالمة إلى جنة الأرض ١٥٠ قرشاً، أحلام، الزيرو تسعمية، في صلاة التراويح وكارت الموبايل الذي يعد بسيارة مرسيدس يقطع على الصائم صيامه، وحتى زيارة البيت الحرام، والحج والعمرة، تحولت إلى جزء من أحلام البسطاء في قضاء فريضة أو سنة مؤكدة من بين علب السمنة وزجاجات الزيت وكروت الموبايل يدفعون قليلاً بحثاً عن كثير.

بين كل مشهد وآخر من مسلسلات رمضان إعلان. وبعد كل إعلان استراحة برائحة السمنة الفلاحي، ولون كروت الشحن.

على إحدى القنوات يلفت النظر إعلان لإحدى شركات المحمول، الجزء الأول يروي قصة كفاح مواطن يكد ويكدح ويتعب طوال سنوات، حتى يحقق حلمه في الحصول على

سيارة مرسيدس، وأصبح كهلاً، لا يبدو أنه قادر على الاستمتاع بتحقيق حلمه. في المقابل شخص آخر يشتري كارت شحن يفوز بجائزة الشركة، سيارة مرسيدس، تأتيه وهو في شبابه بلا أي تعب كي إعلانات المسابقات والجوائز، تعلي من قيمة الحظ وتحط من قيمة العمل، والمجتهدون والذين يكسبون رزقهم بالحلال بؤساء وفقراء، أما مستهلكو الكروت والمسنة والزيت فهم فقط الذين يحققون أحلامهم.

بفلوس المشاهدين وقلوبهم المصريون يدفعون ٨٥٠ مليون جنيه سنوياً في مسابقات «اتصل الآن» و «اشتر الآن» و ادفع الآن.. وإبقى قابلني.

كل برنامج أصبح يخترع وسيلة لاصطياد المتصلين، حتى البرامج الدينية التي تبيع الفتاوى والإيمان وصكوك الإعلان، التي تمول عدداً محدوداً ممن اشتروا حق بيع الأوهام.

جريدة الفجر - أكتوبر ٢٠٠٨

الصحافة التايوانى

انتهى رمضان ولم يبق منه إلا خير صنعه البعض فضاعف رصيده عند المولى عز وجل، أو شر صنعه البعض فزاد رصيده من السيئات رحمنا الله ورحمهم الله.. هذا حساب السماء.. أما على الأرض فلا يبقى من رمضان إلا حديث أثر الدراما التليفزيونية التي حاصرت الناس من كل صوب وحدب بعضها مات عند الميلاد وأخري ماتت بعد أيام من مولدها وقليل منها يبقى ليصبح شاباً فيصير حديث الناس لبعض الوقت أو قد يطول به العمر، ومن الظواهر العامة في دراما رمضان هذا العام الحديث عن الصحافة وأهلها حتى إنه لم يخل مسلسل من شخصية صحفية كما هو في الدالي وهيما أو يدور المسلسل في كواليس الصحافة كما في مسلسل في إيد أمينة.

وبعد الفراق وبنت من الزمن ده، إذن فالحديث عن الصحافة وأهلها ليس حديث مصادفة بل صار ظاهرة تليفزيونية تستحق الرصد والتساؤل فَلِمَ اهتم فجأة وبإجماع كتاب الدراما على إدخال الصحافة كطرف رئيسي فعال في أحداث حكاياتهم، وجعلوا من الصحفيين أبطالاً أو كومبارساً ودارت أحداثهم في أروقة الصحف، فهل صدقوا أم كذبوا؟ أتصور أن هذا الاتجاه الدرامي ينم عن تنامي دور الصحافة في مصر وتأثيرها وهو شيء بالتأكيد يسعدني لأني أحد العاملين في هذا المجال، ولكن الحق أن الدراما التليفزيونية أخفقت بشدة في رصد الصحافة والصحفيين فكلما شاهدت يسرا في دور أمينة تساءلت أين أنا منها أو من يوسف الصياد كما قدمه خالد صالح أو حتى من داليا البحيري أو ريهام عبدالغفور أوغيرهم، نماذج وهمية لا وجود لها إلا في خيال أصحابها، وإن من حق الكاتب أو الفنان أن يتخيل ولكنه خيال مرتبط بواقع عليه الالتزام بشكل أو بأخر به.

في الماضي كان شكل الصحفي في السينما مثلاً صورة نمطية لنموذج أين ترعرعت سيدتي، ولم تتغير هذه الصورة إلا على يد كتاب عظام مثل نجيب محفوظ أو موسى صبري اللذين استطاعا أن ينقلا للمشاهد صورة حقيقية للصحفي فاسداً أو خيِّراً.. لم تستطع أي دراما تليفزيونية أن تخترق حاجز الحقيقة إلا على يد كاتب عظيم مثل فتحي غانم في مسلسل زينب والعرش الذي استطاع أن ينقل صورة أمينة لهذا العالم، ولكن كتاب دراما هذا العام عادوا سنين إلى الوراء جرياً وراء صورة نمطية للصحفي والصحافة، ربما الشيء الوحيد الذي تنمّ عنه هذه الظاهرة، أن الصحافة تحولت لشيء مثير للقلق، ولكن قلق كتاب دراما رمضان أسفر عن حالة هبل حقيقية في رصد الواقع الصحفي أو حتى مفرداته، صراع يسرا وهشام سليم صراع كوميدي حلمت أن أكون طرفاً فيه مع عادل حمودة «رئيس التحرير» ثم أفقت على صوته صارخاً فيّ: أين عملك؟ فتذكرت أنني لست أمينة أو يسرا، وجلست أرقب خالد صالح وزملاءه ورؤساءه في بعد الفراق أبحث عن شبه ولو من بعيد لهؤلاء فلم أجد إلا خيال محمد أشرف.

في الصحافة فساد للركب نعم، وفيها خير للركب أيضاً، ولكن كتاب الدراما لم يستطيعوا الوصول للركب ولا حتى للأقدام، فلو عاد كتاب الدراما لصراعات أهل الصحافة وحكاياتهم لنهلوا منها حكايات تفيض دراما صراع؛ هيكل ومصطفى أمين كان صراعاً درامياً عظيماً تكتب حوله عشرات الأعمال، وحكايات أهل الصحافة الآن رؤساء ومرءوسين حكايات تخرج منها مسلسلات تحتوي على دراما شديدة الإثارة ما بين تراجيديا وكوميديا، حكاية رضا هلال واختفائه نفسها قصة مثيرة لا علاقة لها باختفاء خالد صالح الذي يثير الضحك أكثر من الشجن.. كتاب الدراما التليفزيونية في رمضان جنحوا إلى رسم صورة سابقة التجهيز للصحفي ورجل الأعمال وعضو مجلس الشعب، ولم يتعبوا في التفكير بل أزيد على ذلك أنهم يهددون السلام الاجتماعي في هذا البلد دون وعي بخطورة ما يقدمونه من نماذج للفقراء والأغنياء، فكل الفقراء عند كتاب الدراما أخيار وكل الأغنياء أشرار دون تبرير لأسباب الخير أو الشر، وهو خطر محدق يزيد من كراهية قطبي هذا البلد الذي تآكلت فيه الطبقة المتوسطة وصار بالفعل الفساد فيه للركب، ولكن ليس كل غني فيه من أهل النار ولا كل فقير من أهل الجنة، فأفيقوا يا سادة لأنكم بمسلسلاتكم على تفاهتها تكدرون صفو مجتمع على شفا حفرة من نار.

جريدة الفجر - أكتوبر ٢٠٠٨

أنا وجامعة القاهرة

شكلت السينما وأفلامها كثيراً من وعيي وإدراكي بالصور الذهنية لعديد من الأشياء، وكان أكثرها إلحاحا هي صورة الجامعة، فلم أعرف منذ طفولتي معنى ولا صورة لجامعة إلا جامعة القاهرة بقبتها الشهيرة ودقات ساعتها التي مثلت المكان المرادف الوحيد لكلمة جامعة في أي فيلم سينمائي.. فزوزو أو سعاد حسني وكل بنات وشبان جيلها على الشاشة كانوا في جامعة القاهرة، عبدالحليم حافظ ونادية لطفي خطاياهما في فيلم كان مسرحها جامعة القاهرة، مرورا بجيل أحمد زكي وعادل إمام وآثار الحكيم وعشرات وعشرات من النجوم والنجمات.

لهذا حين أتت اللحظة التي كان على أن أختار فيها الجامعة التي ألتحق بها كانت بلا شك هي جامعة القاهرة، ورفضت الالتحاق بالجامعة الأمريكية بإباء وشمم وإصرار وصل إلى حد القطيعة بيني وبين والدي ببساطة لأني اعتبرت عدم ارتباطي بالقبة والساعة ينتقص من شهرتي.

تلك هي علاقتي العاطفية وشهادتي الجامعية التي أنتمي بها إلى جامعة القاهرة ولهذا حلمت مع الأستاذ لبيب السباعي صاحب مبادرة زيادة مساحة الجامعة وامتدادها والدفاع عن أرضها، ثم فكرة افتتاح اكتتاب عام. وقررت أن أكون من أوائل المكتتبين في هذا الصرح العظيم الذي أنشئ في بدايته بأموال المتبرعين والاكتتاب العام، فلا أنا ولا جيلي فقدنا القدرة على الأحلام أو كنا أقل حبا لبلدنا من هؤلاء الذين كانوا يعيشون منذ مائة عام.

ونسيت في غمرة الفرح بمشروع قومي كل الشكوك التي تحاط بأي أموال ندفعها للحكومة، ونسيت أو تناسيت أن مشكلة مشاكل مصر هي افتقاد القدرة على العمل الجماعي وأن جزءاً أصيلاً من شخصيتنا أن البدايات دائما تبدو مبشرة ولكن نفسنا قصير

جدا فلا نصل إلى النهايات أو الاستمرار دون أن نقطّع بعضنا البعض إربا ولنا في الأحزاب والجمعيات الأهلية وغيرها أسوة حسنة.

نسيت كل ما سبق وغيره كحلم ولكني أفقت على لقاء د. حسام كامل رئيس جامعة القاهرة مع منى الشاذلي في العاشرة والذي أعلن فيه عن أن الشركة الهندسية التي وضعت التصميم شركة كندية يا سلام لماذا؟! هل عدمنا الشركات المصرية لتقدم لنا تصميماً لمشروع قومي؟ وإذا كانت الحجة بأن الشركة قد تبرعت بالتصميم وهو ما أشك فيه، ولكني سأقبل ورغم هذا هل لو طرح الأمر على الشركات المصرية كانت سترفض التبرع بالتصميم؟ وهل مهندس عبقري عالمي كالدكتور ممدوح حمزة كان سيرفض التبرع لهذا الهدف القومي؟ مجرد أسئلة أطرحها.

ثم أضاف السيد رئيس جامعة القاهرة في حواره: أنهم سينشئون دارا للضيافة وقاعة مؤتمرات وأن هذه الجزئية قد يتم استغلالها تجاريا، وحين اعترضته منى الشاذلي والأستاذ لبيب السباعي الذي كان يناقشه على الهاتف بأن الاكتتاب يجب أن يكون خاصاً بكل ما هو تعليمي، رد الدكتور «لا فض فوه»: خلاص مش حنستخدم فلوس الاكتتاب في الجزء الاستثماري.. يا سلام!! لقد ضربت يا دكتور دون أن تدري بظهورك وحديثك مصداقية مشروع قومي يمكن أن يلتف حوله الناس بعد أن ضاعت كل أحلام لأي مشروع قومي.

أنا ربما واحدة من آلاف راجعوا أنفسهم وقالوا قولة سعد زغلول المزعومة: «ما فيش فايدة» بلا حلم بلا مشروع قومي.

الحكومة مشكورة ممثلة في وزير الاستثمار سمحت بالأرض وأرجوها وأتوسل إليها أن ترفع يدها وكتر خيرها على كده، ولكن لا رئيس لجامعة معين من قبلها ولا خفير منها مطلوب، اتركوا للناس ولمحبي جامعة القاهرة ولمجلس أمناء منفصل ممن يرتضيهم الناس حتى لو كانت الحكومة غاضبة عليهم، اتركوا لكل هؤلاء فرصة لكي يعيدوا بناء أي حلم دون أن تلتف يد رسمية بيروقراطية على المشروع فتحوله إلى مول حسب أهوائها.

منذ سنوات طويلة بنى أجدادنا وأجداد أجدادنا جامعة القاهرة وأشياء أخرى كثيرة فهل كثير على أحفادهم أن يحلموا بمجرد استداد للجامعة؟

جريدة الفجر - أبريل ٢٠٠٩

مقدمة حديثة لموضوع قديم

في عام ٢٠٠٩ حين أتى أوباما مصر لتكون محطته الأولى إلى العالم الإسلامي بدا ذلك حلماً. وأجزم أن كل من أتى للقاعة الكبرى لجامعة القاهرة منذ ثلاثة أعوام في ذلك اليوم كما رأيتهم كانوا يسيرون إلى داخلها وكأن على رؤوسهم الطير حالمين بشكل أو آخر بأن الحياة بعد أوباما ستكون غيرها قبل أوباما، كانوا مأخوذين بشعاره نعم نستطيع Yes We can وربما لو جمعت نفس هذه الوجوه والأسماء من سياسيين ونجوم مجتمع وفن وفكر اليوم أمام نفس المتحدث أوباما ستجد شيئًا آخر، لأن الزمان غير الزمان والناس غير الناس والظروف غير الظرف.

إلا أن أوباما هو الوحيد في هذه المعادلة الذي لم يتغير، فرغم أن شعار أوباما الشهير كان نعم نستطيع إلا إنه لم يستطع شيئاً أمام إشكالية الشرق الأوسط، بينما نحن المستمعين له المأخوذين به استطعنا بالفعل أن نؤكد أننا نعم نستطيع إذا أردنا Yes We Can .

ولكن أوباما لم يستطع، إذاً هو No He Can.

طلبة الجامعة .. We love you Obama

فد يمثل خطاب أوباما في جامعة القاهرة مقالا تحليليا لكاتب سياسي كعادل حمودة، وقد تمثل الزيارة ذاتها بالنسبة للمحطات الإخبارية ونشرات الأخبار موضوعا للحديث والتحليل والتعليق على النقاط الإيجابية أو السلبية والجوانب السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية، أما بالنسبة لي فالأمر كان مختلفا لأني ذهبت لمتابعة حديث أوباما تحت القبة مدفوعة بأن أرصد حدثا وإن كان سياسيا ففيه من الفن كثير ومن التأمل أكثر.

بدت شوارع القاهرة في صباح الخميس وكأنها مدينة مهجورة ولكنها كانت شديدة الجمال لأنها بلا صراع مروري أو بشري، وبالتالي لم يستغرق وصولي من بيتي إلى جامعة القاهرة إلا دقائق. كنت متخوفة طبعا باعتباري مصرية المنشأ والتربية من إجراءات الأمن التي ستكون متبعة في الدخول حتى الوصول إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة، فالمصريون مثلي يعرفون معنى إجراءات الأمن في حالة وجود مجرد وزير واحد في أي مكان فما بالك لو كان الرئيس الأمريكي!! .

تركت حقيبتي وكل متعلقاتي وذهبت كما يقولون خالصة مخلصة دفعا لبهدلة متوقعة ولكني ولعجبي وجدتني مثل الآخرين أدخل من بوابة الأمن إلى بوابة أخرى دون تفتيش ولا سؤال ولا كلام ولا حتى نظرات ريبة تتفحصني، كان مطلوبا مني فقط إبراز الدعوة وبطاقة الهوية وعلى باب القاعة وقفت بنات جميلات للاستقبال.

في الداخل لم تكن المقاعد مرقمة وبالتالي محددة بالأسماء ولكن من يأتي يجلس في المكان الذي يجده ولهذا بدت القاعة الكبرى في حلة تسودت فيها الرءوس، الوزير كالخفير

ورجل الأعمال صاحب الملايين تماما كفتاة مدعوة من إندونيسيا تبدو عليها ملامح الفقر الآسيوي إن كان هناك أساس فقر بهذا الاسم، ففي القاعة الكبرى في انتظار أوباما تساوت وجوه النجوم مع وجوه المغمورين. فقط أجزاء من الصف الأول تُركت لمجموعة أوباما ومجموعة الوزراء وشيخ الأزهر.

امتلأت القاعة منذ العاشرة صباحا بخليط من رجال السياسة والأعمال والفكر والإعلاميين والفنانين مثل: أيمن نور ود. جابر عصفور وحافظ أبوسعدة ولأول مرة يجتمع ثلاثة رؤساء وزراء سابقين وهم على لطفي ود. كمال أبوالمجد والسفير الإسرائيلي وطارق حجي والجنزوري وعاطف عبيد ومنى الشاذلي ومعتز الدمرداش وعمرو الليثي ومديحة يسري ولبلبة وعادل إمام ويسرا ونصير شمة وغادة عادل وليلى علوي وسمير سيف وخالد يوسف وشريف منير ومصطفى شعبان وأشرف زكي ومحمود ياسين ومحمد رياض وخالد النبوي وأشرف الشريف ود. مصطفي الفقي ود. عبدالمنعم سعيد وأشرف عبدالباقي وأحمد بدير، ولعجبي وجدت الفنانة ماجدة زكي وزوجها كمال أبورية وماجدة من الفنانات اللاتي عادة لا تحضر أي مناسبات فنية أو عامة حتى مهرجانات السينما أو الإذاعة والتليفزيون، فلما أبديت تعجبي من حضورها أكدت لي ضاحكة أنها كانت تفضل مشاهدة الخطاب في البيت لكن أبناءها طالبوها بالحضور لتحكي لهم عن أوباما بشكل مباشر، ولهذا حضرت إلى الاحتفال، فاقتنعت بالسبب لأنه مناسب لها!!

كانت مسئولية اصطحاب الضيوف داخل القاعة مسئولية أمريكية كاملة ولهذا لم تكن هناك حالة تشنج أو مشاكل مصاحبة لجلوس الضيوف على الإطلاق.

بدا وزير الإعلام أنس الفقي في حالة نشاط يتابع المكان ولم يبد عليه التوتر مطلقا رغم ضخامة الحدث، على العكس لقد كان مرحا وربما أعطاه الإحساس بأنه منفرد بنقل الحدث بكاميرات التليفزيون للعالم، إحساس بالانتشاء وإن شاركته النقل من داخل القاعة قناة فوكس الأمريكية للأخبار أكثر القنوات عداء للعرب التي حصلت على حق البث المباشر دون غيرها من المحطات الأمريكية.

السفير الإسرائيلي كان قليل الحركة جلس في الصفوف الأخيرة ولم يتحدث إلا لدقائق مع طارق حجي خبير البترول المصري وسيدة من السفارة الأمريكية.

مرت ساعات من العاشرة حتى الواحدة والربع ظهراً حين بدأت القاعة تمتلئ برجال السفارة الأمريكية، وظهر د. زكريا عزمي رئيس الديوان في حالة تفقد للمكان وجزء من المسرح ثم حضر عمر سليمان وتبعه جمال مبارك أمين السياسات ومعه مجموعة الوزراء على رأسهم د. أحمد نظيف وصفوت الشريف ووزير الاستثمار والثقافة والخارجية، وآخرون ثم تبعهم شيخ الأزهر د. سيد طنطاوي ووزير الأوقاف. وحين دخلت هيلاري كلينتون القاعة من باب جانبي ضجت القاعة بالتصفيق وكأنها نجمة سينمائية وليست مجرد وزيرة خارجية حتى لو كانت أمريكية. بدت وكأنها تحمل بصمات نجومية هليوودية أكثر منها سياسية.

التقيت قبل لحظات من دخول أوباما بهانز ماهوني، أحد مساعدي السفيرة سكوبي، وهو يعمل في السفارة الأمريكية بمصر منذ سنوات ويجيد العربية وكان الرجل متوترا إلى حد ما وسألني عن توقعي بالنسبة للخطاب التاريخي لأوباما، وكيف ينظر له المصريون ودار بيننا حوار قصير ختمه بتخوفه أنه ربما تبدو توقعات المصريين أكبر من مجرد خطاب تصالح.

وبعد لحظات قليلة من وصول السفيرة الأمريكية أعلن عن وصول الرئيس الأمريكي في الميكروفون بلا مقدمات ولا كلمات توقعها الحضور من رئيس الجامعة أو شيخ الأزهر، وهذا طبعا لأننا معتادون على شكل احتفالات معينة يحضرها الكبار ولكن في حضرة أوباما الأمر كان مختلفا.

بدأ أوباما حديثه الذي استمر ساعة كاملة تخلله تصفيق للجماهير ٤٠ مرة وانطلقت صيحات من البعض تقول (we love you obama) ورد هو عليها بـ thank you.

بدا أوباما منطلقا في الحديث وإن كان يقرأ من شاشة غير مرئية مما جعل البعض يتصور أنه مسترسل في الحديث دون ورقة أو كلمات مكتوبة.

في بعض لحظات وجّه أوباما حديثه إلى الشرفات العليا في القاعة لأنه بالتأكيد كان يعرف أن الجلوس في هذا الجزء من القاعة هم الشباب من طلاب تم اختيارهم بشكل عشوائي. وحتى حين أنهى حديثه ورفع يده بالتحية بدت وكأنها لهم فهو كان يتحدث بلغة الشعراء لأجيال حالمة لابد أن تكون ملامحها شابة حتى تصدق أن القادم أجمل

والسلام سيعم والاقتصاد سيتحسن.

واختلفت الوجوه بعد انتهاء الخطاب فالكل في لحظة دخوله كان مترقبا سعيداً منتظراً آملا في أن تأتي الأحلام سائرة على قدمين، ولكن بدت في لحظات الانصراف الوجوه مختلفة فبعضها سعيد بمجرد أنه رأى النجم قريبا من يديه وآخرون محبطون وآخرون محللون لمحتوى الخطبة وأشياء أخرى، لكن المؤكد أن كل الحضور عبر إلى خارج القاعة في حالة مختلفة عما دخل بها.

وأمام الجامعة كانت الشوارع خالية إلا من قوات الأمن المصرية ومجموعة أمريكية من عدة أشخاص تحمل لافتات تنادي بتحرير فلسطين اسمها pinkcode وبالتالي تحمل لافتات وردية كاسمها وهي استمدت الاسم من عبارة red code، التي كان يتحدث عنها دائماً بوش وهو الخط الأحمر. طبعا ترك الأمن المصري هؤلاء ولم يجرؤ على التصدي لهم ولكن لا أحد آخر كان في الشوارع.

سرت ببطء أستمع إلى تعليقات من هنا وهناك تقول: يا بخت أمريكا جتنا نيلة في حظنا الهباب وهناك آخرون بعد أن فتحوا هواتفهم المحمولة جاءت إليهم رسالة تقول: إن شعبان عبدالرحيم يسجل أغنية جديدة تقول كلماتها: شايف الابتسامة والفرحة على الوشوش إياك يا ناسي أوباما ما يكونش زي بوش بوش يخرب بيته ضيعنا أيام وسنين والناس فاكرين أوباما حيكون صلاح الدين.. وإييه.

جريدة الفجر - يونيه ٢٠٠٩

كل الرجالة بتوع ستات

أفتقد صوت النقشبندي وفانوس رمضان المصري بزجاجه الملون والشمعة الصغيرة وفوازير شريهان ونيللي وصوت الشيخ محمد رفعت وهو يؤذن لصلاة المغرب، أفتقد رائحة رمضان الذي كان.. أفتقد فكرة أن رمضان كان يعني لي ولكل المصريين مسلسلا أو اثنين مثل صيام صيام أو ليالي الحلمية وأن هذه المسلسلات كانت تمثل درة المشاهدة، وأشعر بكثير من الغيرة من هؤلاء الذين كانوا يعملون بالنقد في ذاك الزمان لأن لم يكن لديهم كثير من الأعمال الفنية لمشاهدتها ولكتابة عنها فزمانهم كان أكثر «رواقة ومزاج».. ولولا التجاوز لكنت قلت كما يقول مصطفى حسين على لسان شخصياته الكاريكاتورية: «جتنا نيله في حظنا الهباب».

ولأنني لا أستطيع الزعم بأي حال أنني امرأة خارقة ومشاهدة وناقدة فولاذية تستطيع أن تتابع عشرات من الأعمال الفنية الدرامية المعروضة في رمضان مما يؤهلني لنقدها بشكل كامل فأكتفي بالحديث عن أزمة اجتماعية عويصة تشعر بها النساء منذ بداية رمضان وتتفاقم كلما مرت أيامه وعرض التليفزيون مسلسلاته.

أكثر من ثلاثة عشر مسلسلا من بينها «علشان ماليش غيرك» و«خاص جدا» و«الباطنية» و«ابن الأرندلي» و«أفراح إبليس» و«تاجر السعادة» و«قانون المراغي» وغيرها تحكي من بين أحداثها حكاية المرأة الثانية والثالثة وربما الرابعة في حياة الرجل وكأنها تؤصل لفكرة أن امرأة واحدة لاتكفي.

كل الرجال في كل مسلسلات رمضان على اختلاف أعمارهم أو مستوياتهم الاجتماعية ما بين طبقة غنية أو متوسطة أو حتى معدمة، كما في تاجر السعادة تجد فيها رجلا أو أكثر

زوجا لأكثر من امرأة، وحتي مع اختلاف الأزمنة ما بين زمن المصراوية إلى زمن خاص جدا تجد الرجل الذي يهجر المرأة لأخري أو يجمع بين أكثر من امرأة.

ولو أن متابعا غريبا شاهد مسلسلات رمضان المصرية وقرر أن يستخلص منها بعض مقومات المجتمع المصري يقرر أن المرأة المصرية مسكينة ودائما واخدة بمبة من رجل هو زوج أو حبيب، ولا فرق في ذلك بين متعلم أو جاهل وكبير أو صغير وغني أو فقير.

والسؤال: هل الدراما التليفزيونية التي تحظى بكثافة عالية في المشاهدة وكتابها هم المذنبون في حق المجتمع والمرأة ويعودون بنا إلى زمن زوج الأربعة، أم أن الكتاب والدراما انعكاس لواقع يفرض عليهم تصويره، وأن الحقيقة أن المجتمع المصري بل والعربي يعود إلى الوراء سنوات وسنوات ليس فقط في الفكر الأصولي ولكن أيضا في جوهر العلاقة الأساسية للبشرية وهي علاقة الرجل والمرأة؟

الإجابة ليست بالتأكيد بنفس سهولة طرح السؤال، ولكني أظن أن كتاب الدراما عكسوا بعضا من الواقع.

هناك مثل عامي يقول: «خذوا بالكم من عيالكم» ولكن في مصر كما في كل العالم الناس يأخذون بالهم ويأخذون قيمهم من نجومهم وقادتهم ومثلهم الأعلى.

في مصر المثل الأعلى والنجوم هم أهل المال والسطوة وبعض من السياسيين وكل هؤلاء مع قليل من الاستثناء لايكتفون بامرأة واحدة ولا اثنتين ولا حتى ثلاث، والإعلام صار وحشا كاسرا يستطيع أن يدخل حتى غرف النوم والحمامات، وبالتالي ينقل للعامة تنقل الرجال من امرأة لأخري سواء بالزواج كما في حال أحمد عز مثلا وهو رجل السياسة الأبرز، أو كما حدث مع حسام أبوالفتوح أو هشام طلعت مصطفى ورامي لكح وعشرات بل مئات ومئات من أسماء رنانة في دنيا السياسة والمال وكذلك الفن.

ويحضرني هنا ما حدث منذ سنوات حين عُرض مسلسل الحاج متولي الذي كتبه مصطفى محرم، وعُرض منذ سنوات وقامت الدنيا ولم تقعد بسبب ذلك المسلسل وكيف انتفض المجلس القومي للمرأة وغيره من الجمعيات النسائية تطالب بمنعه وتتهمه بترويج أفكار هدامة في المجتمع.

جريدة الفجر - سبتمبر ٢٠٠٩

ايوه كده يا وديع

كما يتم تقديم السم في العسل في جريمة قتل ناعمة، أو بوضع المخدر في قارورة عطر في جريمة تحويل شخص صحيح إلى مدمن.. استطاعت قناة ميلودي أفلام أن تقدم الفجاجة والقبح في كبسولة خفيفة الظل، ونجحت بالفعل في مهمتها.

صار وديع وتهامي والآنسة رشا عنوانا لقناة متخصصة في الأفلام، بل صاروا أبطالاً لدى عموم الجماهير ينتظرون ظهورهم أكثر من الأفلام المصرية ذاتها التي تعرضها القناة. وتحول وديع وتهامي إلى نجوم لهم جروبات خاصة معجبة على الفيس بوك بها الآلاف وحاليا يتم التفكير في إنتاج فيلم خاص من بطولتهما.

مصيبة إعلامية وإعلانية وأخلاقية بكل المقاييس.. فالإعلان الذي صار علامة تجارية لو فكرت فيه لوهلة وخلصته من خفة ظل أبطاله وبحثت في رسالته فستجد الآتي:

أولاً: هذا الإعلان يرسخ صورة سلبية قبيحة لكل العاملين في المجال السينمائي، فالمنتج رجل جاهل فج، والمخرج شخصية مهزوزة وسيلتها القوادة، أما الممثلة فلا وسيلة لديها للوصول إلى البطولة إلا سرير المنتج.

تلك هي الصورة النمطية التي ترسخت في عقل الجماهير منذ زمن عن السينما وأهلها وكل الفنانين، وما إن بدأت هذه الصورة غير الحقيقية بشكل كامل تتغير قليلاً لدى الأجيال الجديدة بدخول عناصر كثيرة تحترمها الجماهير وتقدرها، حتى أتت قناة ميلودي بفاصل لتمحو سنوات حاول فيها كثير من الفنانين المحترمين تغيير هذه الصورة القاسية النمطية.

الفنانون بشر فيهم الصالح والطالح، والفاجر والتقي، وما بينهما، ومن الظلم إلصاق هذه الصورة النمطية بهم.

ومن الغريب والعجيب أننا ما بين كل حين وآخر نجد طائفة ما تنتفض ضد عمل فني، لأنها ترى أن فيه إساءة لها مثل المحامين أو الأطباء أو ضباط الداخلية وغيرهم، حتى رجال الأعمال، حتى إن المحاكم قد تداولت قضايا رفعها البعض دفاعا عن صورتهم، رغم أن المسألة لا تعدو دورا في فيلم يعرض بين الحين والآخر وليس بالتأكيد مثل إعلان يتكرر عشرات المرات في اليوم.

وفي مقابل ذلك ومن الغريب أنني لم أسمع أو أر فنانا واحدا أو فنانة تنتفض وتشجب الصورة التي يصورها عليها صاحب قنوات ميلودي، والذي جعل من كل نجمات السينما مدام أو آنسة رشا.

قديماً قالوا إن «الزنّ على الودان أمرٌّ من السحر»، وأن قناة ميلودي وتهامي ووديع ورشا، سحر أسود على صورة الفنانين أتعجب كيف لم ينتفض منتج أي منتج، أو مخرج محترم أو ممثلة تفخر بمهنتها أمام أبنائها من هذا الإعلان؟ كيف لم تخرج نقابتهم حتى لتوجه اللوم لصاحب ميلودي وتهامي ووديع والست رشا؟

ثانياً: يبدو الإعلان أن ظاهره الرحمة وباطنه العذاب.. فالإعلان في ظاهره يدافع عن الفيلم المصري في مقابل الفيلم الأمريكي، ولكن الحقيقة أنه يسيء للسينما المصرية بجدارة، بدليل اختيار أفلام من أجمل ما أنتجت السينما الأمريكية مثل «تايتانيك» و«قلب شجاع».. أفلام عظيمة حتى لو ضحكنا منها في مقابل أفلام قبيحة تخصنا مثل «قبضة الهلالي» و«آيس كريم في جليم»، قد تكون المفارقة في هذا الفاصل الساخر مضحكة في لحظتها ولكنها في حقيقتها باكية.

ولذا فحسب قناة ميلودي وإبرازها للأفلام المصرية التي تفخر بها، يجب تعديل كلمات الخاتمة لهذا الفاصل الإعلاني إلى «الفيلم الأجنبي.. أم العربي».

ثالثاً: منذ بداية انطلاق مجموعة قنوات ميلودي، فهي دائما تجنح لكل ما هو غريب ومثير وفج وأيضاً قبيح خاصة فيما يخص الفواصل ونوعية الإعلانات التي تروج لها مثل إعلانات قناة ميلودي تريكس والتي كان من بينها فاصل لسيدة تقف في شرفة منزلها تنشر

ملابس داخلية، في إشارة جنسية صريحة فجة.

وأضافت ميلودي إعلانا آخر لقناة الأفلام مستخدمة شاباً رخماً وفتاة شبه عارية للإعلان عن كسر الملل ولكن على طريقة ميلودي، ورغم طرافة الأفكار أحياناً فإن القبح والإباحية فيها سيدا الموقف.

أكثر ما أكره أن أقف في طابور المتباكين على جمال فقدناه أو أخلاق نفتقدها، ولكن أمام وديع وتهامي ومدام رشا وصديقهم والمروج لهم جمال مروان، كان يجب أن أتباكى ولكني لن أفعل إلا أن أقول إنهم رموز للزمن...تيت.. تيت.. تيت.. مش كده يا وديع.

جريدة اليوم السابع - مارس ٢٠١٠

obeikan.com

أبو الليف .. عنوان الديمقراطية

صار أبوالليف هو المطرب الأول حاليا في مصر، فأمام اكتساح أغنيته «أنا مش خُرنج أنا كينج كونج ده وأنا رابط إيديه بألعب بينج بونج»، تراجعت مبيعات أغنيات عمرو دياب وحماقي وهاني شاكر وحتى إليسا وهيفاء،صار أبوالليف هو مطرب الشباب الأول.. والله العظيم هذه ليست نكتة، ولا هو اسم حركي لمطرب، بل هذه هي الحقيقة، ولا يعني أن أحدا يجهل من هو أبوالليف، ولم يستمع لأغنيته أن ينكر هذه الحقيقة.

وإن كان أكثر ما أكرهه هو التنظير، وادعاء القدرة على التحليل، وأن أزعم أنني وحدي أمتلك الحقيقة المطلقة للظواهر، إلا أنني مضطرة لكي أحكي لمن لا يعرف قصة أبوالليف أو كينج كونج لاعب البينج بونج، مضطرة أن أعود إلى الوراء لأحكي لكم حكاية.

كانت الإذاعة قديما هي الوسيلة الوحيدة التي يستطيع أي فنان أن يصل من خلالها إلى قلوب المستمعين، وبالتالي الجمهور، فما من نجم من نجوم الطرب أو حتى التمثيل، إلا واعتبر أن جواز سفره إلى عالم الشهرة والنجاح لا يتم إلا من خلال مروره من البوابة الذهبية، الإذاعة.. وكانت لجنة الاستماع وكبار رجال الإذاعة، هم أهم من في حياة الفنان، فبجرة قلم منهم، يمنحونه الحياة، وبجرة أخرى يحرمونه منها.

وتطورت الحياة، واختلفت آلياتها بظهور التليفزيون فتراجعت قيمة الإذاعة أمام طوفان الصوت والصورة في التليفزيون، فأصبح المسئولون عنه هم أصحاب السطوة والحظوة لدى الفنان، لأنه بوابتهم الذهبية للجمهور.

وقد يذكر البعض الحرب الضروس التي قامت بين عبدالحليم وفريد الأطرش حول من يفوز بنقل حفلاته في شم النسيم وغيرها من المناسبات على الهواء في التليفزيون، وسواء كانت الوسيلة التي يصل بها الفنان إلى جمهوره الإذاعة والتليفزيون، فقد كانت في النهاية وسيلة مضنية له تستغرق كفاحا وجهدا مع كثير من العناصر الفنية أو الإنسانية.

ولأن بقاء الحال من المحال، فقد تغير الأمر منذ سنوات وفقد التليفزيون والإذاعة تفردهما في الساحة، لتصبح شركات الإنتاج وتوزيع الكاسيت هي صاحبة السطوة في فرض الذوق في دنيا الاستماع. وليس أدل على ذلك من سطوع نجم المطرب أحمد عدوية، الذي كان ممنوعا من الغناء في الإذاعة أو التليفزيون، ولكن أغنياته في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، كانت تنتشر كالنار في الهشيم عبر شرائط الكاسيت، بل ربما زاد توزيعها لأنها كانت بضاعة ممنوعة من الظهور على الأثير.

وفي غمضة عين بين ليلة وضحاها، تغيرت خريطة الحياة بظهور الإنترنت، تلك التي يطلقون عليها بالعربية الفصحى الشبكة العنكبوتية، وهي تسمية واصفة دقيقة لهذا النوع من وسائل الاتصال، فلا يستطيع أحد أن يعرف لها بداية من نهاية، لأنها حلقات اتصال متداخلة، قادرة على أن تصل بين من يوجد في قرية ليست على الخريطة، وبين أحد سكان الشارع الخامس في مدينة نيويورك، أو وول ستريت شارع المال والأعمال.

وتراجع إنتاج الكاسيت وفقد الشريط الصغير وأصحابه سطوتهم تماما، مثلما حدث مع الإذاعة والتليفزيون، فلم يعد الثلاثة هم الطريق والبوابة الوحيدة إلى الشهرة والانتشار والتأثير.

تصدر المشهد الآن الفيس بوك واليوتيوب، وسائل اتصال تسمح لكل حالم بأن يعرض على الملايين ما يراه في الغناء أو التمثيل أو التقليد أو الكتابة، أو حتى بيع الجسد، صارت تلك الوسائل وكأنها هايد بارك للفن، لا سلطان فيها لأحد على أحد.. مجرد كبسة زر كما يقول اللبنانيون وتكون على الهواء مباشرة، بلا رقابة على سيناريو أو كلمات أو لحن.. صار الفيس بوك واليوتيوب هما البوابة الذهبية للشهرة، ليس من المحيط إلى الخليج، ولكن من المحيط إلى المحيط.. فلا دستور ولا قوانين رقابة أو ميزان كلمة أو لجنة استماع تتحكم في هذه الوسائل والفنون التي تُطرح فيها.

ويفقد كثير من النجوم عروشهم أمام الطوفان، ليصبح أبواللیف حاليا هو المطرب الأول في مصر، وربما في العالم العربي، فأغنيته تناقلها الشباب عبر الفيس بوك، وخلقت بالتأكيد لديهم حالة إعجاب جعلتهم يرددونها.

ومن السهل أن نرمي هؤلاء الشباب بتهمة سوء الذوق والتقدير، ولكن نفس هؤلاء الشباب هم من يؤازرون على الفيس بوك مطربا آخر اسمه مأمون المليجي، وهو ملحن ومطرب وكاتب لكلمات أغنيات جميلة على خلاف أبواللیف، إذا، فعيونّ الشباب وآذانهم مفتوحة لمختلف النوعيات لأغنيات بانجو، وأخرى من نوع آخر.

ولكن في النهاية أذواقهم مرهونة بحالة الحرية التي يتيحها الفيس بوك واليوتيوب الذي يعرفون أنه لا سلطان لأحد عليه، لا لجان ولا قوانين رقابة ولا سلطة دولة أو رأسمال.

إذن، أبواللیف هو عنوان الديمقراطية بالنسبة لمن انتخبوه، ومن الفن يأتي كثير من الإرهاصات في الحياة.. والله أعلم.

جريدة اليوم السابع - مارس ٢٠١٠

لا أحد يرفع شعار إذا بليتم فاستتروا

عجباً على بلاد تدور فيها المعارك وتتضخم ثم تنفجر بلا حياء ولا يتوقف أحد أمام أصل المعارك، وبتعبير آخر أمّ المعارك.. وأمّ المعارك الآن تدور في صحف مصر ولبنان والإنترنت بين النعمْرين، عمرو دياب المطرب الشهير وعمرو عفيفي رجل الإعلان والإعلام القوي، فبعد فترة من العسل بينهما أتى البصل بكل رائحته النفاذة الكريهة.

عمرو دياب أشهر اسم في عالم الطرب الذي استطاع البقاء نجماً لمدة تزيد على ربع القرن، حتى لو اختلفنا في تقييمنا حول فنه يظل بقاؤه على القمة طوال هذه الفترة تأكيدا لقبول جمهور وذكاء يحسب له.

أما عمرو عفيفي فهو نجم أيضاً ولكن في عالم الإعلان، بزغ نجمه منذ فترة، والإعلان الآن يحرك الإعلام والفن، فالقيمة المضافة للاثنين تأتي من أسماء الشركات والمعلنين المقبلين على اسم النجمة أو النجم، فكما استطاع هذا، أو تلك، اجتذاب معلنين على برامجه أو مسلسلاته أو أفلامه أو أغانيه صارت له السطوة والنجومية، وبغض النظر عن تقييمنا لهذا المعيار الذي أفسد المجالين، فإن واقع الحال هو كذلك ولست هنا في مجال تقييم هذه المعضلة.

المهم أن النجمين جمعتهما المصلحة فكل منهما كان في احتياج للآخر، وكما سبق أن ذكرت عاشا في شهور العسل أو سنينه. ولكن فجأة تقاطعت المصالح، شيء عادي جداً يحدث في كل العلاقات التجارية أو الفنية أو حتى الزوجية.. فمن ذا يهتم بعلاقة نجم بشركة إنتاج وإعلان؟ فقط المتخصصون في المهنة أو حتى المنافسين.

ولكن خلاف عمرو دياب وعفيفي تحول إلى اهتمام جماهيري عبر الإنترنت والصحافة وحتي هذا لم يكن ليدفعني للتوقف أمامه.. فكم من خلافات سياسية أو فنية أو غيرها لا قيمة لها وتأخذ حيزاً من الاهتمام الجماهيري والإعلامي وهي غير مستحقة مثل خلاف شوبير ومرتضى.

موقع اهتمامي هو حالة البجاحة التي تغلف خلافاتنا الآن في المجتمع المصري حتى أصبح المنطق السليم للأشياء مقلوباً. السيد عمرو عفيفي خرج على الناس بعد خلافه مع عمرو دياب يقول إنه كان يدفع ثمن جوائز النجم من جيبه الخاص، وأبرز ما يؤكد مزاعمه من فواتير تحصيل بنكية، وراح يكيل له الاتهامات والفضائح فخرجت جماهير غفيرة من كل صوب وحدب تدافع عن نجمها المحبب وأصابع عمرو دياب تدير المعركة وتكيل الاتهامات لعمرو عفيفي.

وفي خضم كل ذلك نسي المتعاركون أنها معركة تدين المتهم والشاكي معاً، أنا بالتأكيد، حتى لا يساء فهمي، أقولها واضحة، أنا لا أدافع عن عمرو دياب.. ولكني متعجبة، فالسيد عمرو عفيفي يعلن أنه دفع رشوة لكي يعطي عمرو دياب الميوزيك أووورد العربية، جائزة كانت ومازالت محترمة حتى الآن في العالم ولكنها منذ أن أضيفت إليها عبارة «عربية» صارت جائزة مشبوهة سيئة السمعة. لم نصم كل شيء يوضع في أيدينا وكأننا طاعون منتشر؟ لم أفسدنا جائزة كانت محترمة تقيم المطربين حسب المبيعات والإقبال الجماهيري؟!

احترفنا التزوير في السياسة فصارت كل استفتاءاتنا ودراساتنا وآرائنا وحتي جوائزنا مزورة.

والشيء بالشيء يذكر فهناك أيضا فضيحة جائزة البوكر العربية في الأدب والتي انفجرت مؤخراً تؤكد مزاعمي، فجائزة البوكر إنجليزية الأصل من أكثر الجوائز الأدبية قيمة في العالم، كل دول العالم الثالث دخلت فيها متنافسة مثل سيريلانكا ودول أمريكا اللاتينية وغيرها ولم تحدث فيها ولو لمرة واحدة فضيحة، إلا حين أضيفت إليها كلمة عربية منذ ثلاثة أعوام فقط ظهرت النسخة الأولى منها محترمة بلا مشاكل حين فاز بها بهاء طاهر، ولكن في عامها الثاني لم تستطع أن تصمد إلا قليلاً، ثم أخيراً أتى العام الثالث

فانتشرت الفضائح على الشرفات، خرج من يقول إن الرواية السعودية «ترمي بشرر» فازت لأن الكويت كانت تترأس لجنة التحكيم وأرادت أن تجامل السعودية، وأن الرواية لا تستحق حتى الطباعة وأشياء من هذا القبيل، المهم فضيحة.. فما أسعدنا بها.

وعودة إلى الميوزيك أوورد العربية ،التي انتشرت فضائحها أيضاً منذ سنوات حين خرج الجاسمي يؤكد أنه رفض الدفع، وغيره من نجوم الطرب فضحوا الدنيا. إذن نحن مدمنو تزوير وفضائح خلاص عرفنا، ولكن أن نصل إلى حالة البجاحة حين يعترف المنتج والمشارك في الرشوة بأنه دفع لينال نجمه البركة ثم يتصور أنه بذلك يفضحه دون نفسه، هذه هي أخلاق البجاحة أما أن ترد جماهير عمرو دياب أو عمرو نفسه بأنه المستحق الوحيد للجائزة لأنه الأهم فهو تأكيد لغباء وبجاحة أكبر، فيا جماهير عمرو دياب أينما كنتم ويا دياب: هل نتقاتل ونتفاخر بالسرقة والتزوير؟.

ألم يسمع العمْران بعبارة تقول «إذا بليتم فاستتروا»؟! يبدو أنهما لم يسمعا بها أو أننا أصبحنا في زمن تقطيع الهدوم حتى لو كانت ستكشف عوراتنا، الجنازة حارة والميت الميوزيك أوورد والكلاب تعوي.

جريدة اليوم السابع - أبريل ٢٠١٠

الوزير والخفير في زمن البجاحة

«حين يزيد الأمر على حده ينقلب إلى ضده» حكمة جميعنا يعرفها، ويرددها، ويستعين بها حين الحاجة، رغم أننا قلما نفهمها ونعمل بها بل على العكس، أزعم أننا في مصر نعمل عكسها تماما كبيرنا وصغيرنا، الوزير والخفير والمشهور والمغمور.

كل هؤلاء يبدأون أي شيء يؤثر في الآخرين ويزيدون الأمر على حده، وعجبا أنهم لا يرونه ينقلب لضده، بل على العكس يتمادون حتى البجاحة دون توقف، فهل أكون متجاوزة إذا قلت إننا نحيا في زمان ومكان أكثر ما يميزه هو البجاحة.

واسمحوا لي أن أسوق عدة أمثلة من ظواهر في حياتنا علها تؤكد ما أقوله وأحكي عنه.

مسئول حكومي يخرج علينا بقرار يجد معارضة شديدة محترمة، بمعنى آخر، معارضة مبنية على أسباب وجيهة. ولكنه رغم ذلك يستمر في التشبث به، بل يزيد ذلك بمجموعة قرارات مشابهة ويزيد ويزيد وكأن لسان حاله يقول: مش عاجبكم القرار الأولاني طب والله لأوريكم...!! ويتحفنا بثانٍ وثالث إلى آخره ولا يرى فيما يفعل إنه انقلب إلى الضد، وصار مثالا لحالة من البجاحة.

لا أدعي أنني أفهم في الاقتصاد أو دنيا البنوك والديون وغيرها، ولذا لا قبل لي بتقييم قصص رجال الأعمال الهاربين أو العائدين اقتصاديا.. ولكني فقط أستطيع تقييم الأمر اجتماعيا وإعلاميا.. يبدأ الإعلام بالبحث عن الهاربين لظهورهم كسبق إعلامي وطرح لقضية، كما حدث مع أشرف السعد أو رامي لكح أو الهواري أو عشرات غيرهم،

ويزيدون ويزيدون حتى يتحول الأمر إلى سرك يتم نصبه كما حدث مع رامي لكح، الذي عاد كأنه صاحب انتصار مكلل بالغار.. استقبلته الجماهير على أبواب روما، عفوا أقصد القاهرة، وتاه الناس بين رجال البنوك والهاربين.. من يصدقون؟ حتى تحول الأمر إلى أن هؤلاء الهاربين ضحايا كما في فيلم «الهارب»، يعيشون في الخارج يبحثون عن الجاني الذي ورطهم.. رامي لكح دون خوض في تفاصيل اقتصادية بنكية معقدة وغيره، هربوا لأنهم أخذوا فلوس البنوك وعاشوا بها وتركوا صغارَ المقترضين يدخلون السجن.

زادوا وزادوا وحين انقلبوا للضد لم يجدوا من يرد لأننا في زمن البجاحة!!

تكريم الفن والفنانين عمل يستحق الإشادة به إذا قدموا ما يستحق التكريم.. عمل له قيمة باقية أو تميز فني أو عالمي، أو مسيرة حياة تستحق التقدير، تلك هي معايير التكريم ليس فقط للفن ولكن لأي مجال من المجالات.. وقد بدأ أمر تكريم الفنانين بالمهرجانات الفنية والمجلات المتخصصة ثم انتقلت الظاهرة، التي كانت صحية إلى جهات أخرى، ليس لها علاقة بتقييم الفن أو الفنانين مثل نوادي الليونز والإنرهويل والصفوة التي بدأت تعتبر تكريم الفنانين ضمانا لنشر صورهم في الصحف حتى تحول الأمر إلى مهزلة خاصة بعد رمضان، حين يتم تكريم المسلسلات ويتم الاحتفاء بالسيئ قبل الحسن، حتى انقلبت معايير التقييم وتاهت بوصلة النجوم وصناع الدراما أو الأفلام فيما يقدمون، فانقلب الأمر إلى ضده ولكن هل من أحد وقف يسأل ماذا أنت فاعلون؟ على العكس صرنا في حالة بجاحة اجتماعية وفنية.

وانتقلت العدوى إلى مدارسنا وجامعاتنا الخاصة والحكومية التي راحت هي الأخرى تكرم الفنانين من أجل أن يضحك المسئولون علشان تطلع الصورة حلوة. محراب العلم تحول إلى مكان احتفاء بالفن الرديء في أغلبه. ومن هؤلاء لهؤلاء لآخرين حتى في بعض الكنائس وبرامج الرياضة والسياسة، وتاه الفن والفنانون من كثرة التكريمات حتى صدقوا أنهم يقدمون ما يستحق التكريم، وإن تكلم أحد خرجت دروع الجمعيات والجامعات والمدارس والكنائس والبرامج تحمي صدورهم. إنها البجاحة حين يزيد الأمر على حده ولكن لا أحد يعترف.

من منكم لم يعد معتادا على شوارع غزتها الزبالة والتراب، والزبالون في الشوارع

يجوبون الطرق بزيهم الرسمي يتسولون بعدة الشغل، هل يتوقف أحد؟ هل يتذكر أحد كيف بدأ الأمر؟ أنا أتذكر مجرد شخص يجمع القمامة، يقف يعمل، فنزل أحدهم من سيارته وأعطاه في يده شيئا ربما يكون مالا كصدقة أو نذر، وشيئاً فشيئاً زاد الأمر وتحول إلى أن أصبحت مهنة جمع القمامة هي التسول، وتحولت شوارعنا إلى مقلب كبير للقمامة وزاد وزاد ولا أحد يقول شيئا لمتسول في ملابس جامعي القمامة أو المسئول لأننا في زمن البجاحة.. فهل من أمثلة أقوى من أحمد عز رجل الحديد الهمام ويوسف بطرس غالي والي الجباية.

وعود على بدء، في مصر البجاحة صارت نهجا ومنهجا يتساوى فيها الفقير والغني والوزير مع الحفير والمثقف مع الجاهل.. فكلنا في البجاحة نسبح ثم نغرق فكيف الخلاص؟!

جريدة اليوم السابع - أبريل ٢٠١٠

الجنة لهم والنار لنا

كتب أحد النقاد الأمريكيين في مجلة «فرايتي» الشهيرة إن أغلب من يذهبون إلى السينما يبحثون عن الفرار المريح من مشكلاتهم، والغالبية يكرهون من يذكرهم بأخطائهم.. لذا فالجماهير في أمريكا لن يسعدهم مشاهدة فيلم «جرين زوون - green zone» حتى لو كان فيلما جيدا.

انتهى كلام ناقد أمريكي عن فيلم حرين زوون الذي يعرض حاليا في أمريكا ومصر، وهو مأخوذ عن رواية لراجيف شاندراسيكران مراسل جريدة الواشنطن بوست الشهيرة في العراق إبان حرب الخليج، وقام ببطولة الفيلم مات ديمون، وجريج كنير، وإيمي ريان، وإيجال ناعور، أما المخرج فهو بول جرين جراسى.

وأما الناقد الذي كتب الكلمات التي بدأت بها حديثنا، فله كل الحق بشكل عام، فيما قال، فمن يحب أن يذكره أحد بأخطائه وخطاياه. وإن كان جرين زوون يذكر أمريكا بأخطائها فهو للأسف أيضا يصفعنا آلاف الصفعات ويصرخ بأخطائنا كعرب أولا ومصريين ثانيا.

ولنبدأ بخطايا أمريكا التي يحكي عنها الفيلم، فهو يخط بداية قصة الغزو الأمريكي للعراق ووصول القوات الأمريكية مدعومة برجال المخابرات ورجال السياسة، ويصور الفيلم حالة الفوضى العارمة التي حدثت في العراق، وعملية البحث الدءوب من القوات الخاصة عن أماكن أسلحة الدمار الشامل، وبالتحديد من خلال فرقة يقودها مات ديمون، ولكن كلما تذهب إلى مكان حددته المخابرات كبؤرة سلاح دمار تكتشف

السراب فلا شيء فيه.

وتتوالى الأحداث لتصل بنا كجمهور وأبطال الفيلم في الوقت ذاته إلى الخدعة التي تعرض لها الجميع.. لا وجود لأسلحة الدمار الشامل في العراق، وأن القيادة الأمريكية ممثلة في أسماء بعينها خدعت الجميع بمن فيهم الجيش الأمريكي بهذه الحجة لغزو العراق، وأن المسألة لا تعدو أن تكون إلا مصالح أشخاص دفعت أمة إلى الهاوية والفوضى.

إذن أمريكا تدين نفسها في هذا الفيلم، والأهم أن إدانتها بشكل فني وبصري وعقلي رائع، وحين يدين الإنسان نفسه يتخلص من خطاياه بالاعتراف، وهل من اعتراف أكبر وأعلى صوتا من أفلام السينما!! السينما الأمريكية من خلال فيلم «المنطقة الخضراء» أو «جرين زوون» وأفلام أخرى تنقي أخطاءها وتُخرج ما في جعبتها من خطايا، فكأن السينما الأمريكية نيابة عن أمة بأسرها تقوم بالاعتراف والخلاص للشعب.

وعودة إلى حديث الناقد الأمريكي في مجلة «فرايتي» فلا أظن أن فيلم «المنطقة الخضراء» أو ما على شاكلته يمثل أزمة للمشاهد الأمريكي لأنه يذكره بخطاياه، بقدر ما يمثل مصدرا للراحة لأنه وجد من يعترف نيابة عنه بالخطأ.

ولكن بحسب منطق ذاك الناقد فإن مثل هذه الأفلام يجب أن تدمي قلوبنا نحن العرب والمصريين، ليس فقط لأنها تذكرنا بعجزنا وهواننا على الناس، ولكن الأهم أنها تؤكد خيبتنا الثقيلة فنيا وفكريا.. فلا نحن نستفيد من انتصاراتنا ولا هزائمنا.. لم نستطع أن نقدم مثلا فيلما واحدا عن انتصار أكتوبر الذي تُدرسه كل معاهد تعليم فنون الحرب حتى الآن، قدمنا أفلاما مثل «بدور» و«الرصاصة لا تزال في جيبي» و«أختي».. «وكسة فنية» وحتي إنسانية فيما يشبه أغانينا الوطنية التي تقام في المناسبات وتموت قبل ولادتها.. مجرد سبوبة لصناعها.. هذا في حالة الانتصار أما في الهزيمة فحدث ولا حرج.. ماذا فعلنا بهزيمة ٦٧ في السينما؟ قدمنا مجموعة أفلام لم تخرج عن نفس شكل «أختي» و«بدور» ويوم أن شمرنا سواعدنا قدمنا فيلم «العصفور» أو «عودة الابن الضال» أفلام رمزية لا تحمل وضوحا وصوتا يسمحان لآخرين غيرنا بفهمها.

وهل من مثل أسطع من أن فيلم «المشير والرئيس» يعاني من رفض الرقابة له منذ سنوات، خوفا من أن يتعرض من قريب أو بعيد للمؤسسة العسكرية في زمن مضى ولم

يتم الإفراج عنه إلا بحكم محكمة، ورغم أني لم أقرأ السيناريو ولم يتم بعد تنفيذ الفيلم فإنني على ثقة بأنه سيأتي مثل غيره من الأفلام التي تتحدث عن هذه الفترة ليس لأني أضرب الودع، ولكن لأن صناع الفيلم، كاتب السيناريو ممدوح الليثي ومخرجه خالد يوسف في لقاءاتهما بعد الحكم ذهبا يدافعان عن الجيش وصورته وأن هذا الفيلم تحية إعزاز وليس نقدا لتلك المؤسسة على الأقل تاريخيا.

ومن العبث الحديث طبعا عن أفلام تتحدث عن حرب لبنان أو العراق أو إيران أو اليمن أو السودان. فإن لم نستطع أن نقدم ونتخطى خطايانا وهزائمنا وانتصاراتنا كمصريين نمتلك ناصية السينما أكثر من غيرنا في المنطقة. فكيف نفعل بقضايا عامة.

ودعوني أزيدكم من الخيبة حكايات مجرد أمثلة.. تركيا تصنع حاليا فيلما اسمه «وادي الذئاب. القدس» عن القضية الفلسطينية كما قدمت من قبل «وادي الذئاب.. العراق» والأفلام تحصد اهتماما عالميا على المستوى العالمي والمادي.. تربح تركيا من قضايانا كما ربحت بمسلسل «صرخة حجر» الذي باعته لقنواتنا بأموال وأجبرت إسرائيل على الاعتذار بسبب تهجمها على تركيا بعد هذا المسلسل.

إذن أمريكا وتركيا وآخرون يربحون أموالا ومكانة من خطاياهم وهزائمنا وأحزاننا، حتى أفراحنا، بينما نحن نكتفي بالمشاهدة ومصمصة الشفاة.

شاهِدوا المنطقة الخضراء ومصمصوا شفاهكم حتى نقوم بدورنا، فالجنة لهم والنار لنا.

جريدة اليوم السابع - أبريل ٢٠١٠

شيزوفرينيا التكنولوجيا

أنا من بين هؤلاء الذين مازالوا يكتبون بالورقة والقلم، ويقرأون الصحف حتى تسوَد أيديهم، ويحملون أرقام الهواتف في نوتة صغيرة في حقائبهم.. وتلخيصاً أنا واحدة ممن يكاد الزمان أن يبتلعهم.. ولذا قررت منذ أسابيع أن أضيف إلى عاداتي البحث في عالم أرحب حتى لا يبتلعني الزمان أو بعبارة أدق ألا أكتفي بقراءة الصحف من جانب واحد وهو كُتّابها، ولكن أن أقرأها من خلال قرائها.

فالصحف التي تصدر في مصر أو أي بلد في العالم تعبر عن وجهة نظر من يكتبون فيها، وهم بالقطع يعبرون عن قطاعات كبيرة من الشعب لأنهم بعض منهم، ولكن ظلت المعادلة ناقصة إلى أن اكتملت الصورة أو الدائرة بظهور الصحف على الإنترنت، مما سمح بمعرفة رأي القارئ الذي يمثل نصف الدائرة الناقص حين تقرأ الصحف الورقية.

وكأن هم قراءة الصحف لم يكن يكفيني فأضفت هماً على هم حين تابعت ما يكتبه القراء على.اختلاف الموضوعات المطروحة من سياسة إلى اقتصاد إلى فن أو ثقافة وحتى جريمة أو غيرها، هايد بارك مصري عربي.

لا أستطيع الزعم أني أملك مقياس حرارة دقيقا للمجتمع المصري، ولا أستطيع أن أؤكد أنني تعاملت مع كل المكتوب بحرفية باحثي الظواهر المجتمعية من تحليل مضمون وقياس الرأي، وغيره من الأساليب العلمية، ولكني تأملت عالماً رحباً فوجدته قد ضاق بمن فيه.

وجدت عدة ظواهر متكررة في كل ما هو مكتوب:

١ - طالت ألسنة الشعب المصري كتابا وقراء، ولم نعد أصحاب اللسان الطيب الذي اعتدناه، لغة الخطاب تدنت فتساوت الرؤوس ما بين كاتب وقارئ، وحاكم ومحكوم، وميدان وشارع أو حارة، تدنت لغة الشارع فانساق الإعلام والصحافة إليها لينقلاها، فصارت سمة الجميع.

٢ - ضاقت الصدور عند الاختلاف فصرنا جميعاً متطرفين دون استثناء، فمن كرة القدم إلى المعارضة السياسية أو الحكومة إلى الخلافات الدينية حتى عند الحديث عن الفن فهناك المتطرفون تجاه الفن النظيف وآخرون في اتجاه الفن الأبيح أو القبيح، كل فريق من هؤلاء صار كأنه جيتو أو مجتمع مغلق على أصحابه، كما هى حال اليهود في أي بلد عاشوا فيه.

٣- صرنا مجتمعا أصم لا يسمع فيه أحد الآخر، فكأننا بدلنا حالنا عما خلقنا الله الذي حبا الإنسان بأذنين ولسان واحد ليسمع أكثر مما يتكلم، فرحنا جميعاً نتكلم بل نصرخ ولا نسمع.

شوارعنا، مقاهينا، محالنا، إعلامنا.. كلها تشير إلى شعب أصم يتكلم ولا يسمع.

الحكومة تغلق أذنها عن سماع من يعارضها، وتكتفي برجالاتها وصحفها وأدواتها، فلو جلست لأي مسئول رسمي، وكم جلست إليهم، فستجده يحدثك دون أن يسمع أو حتى يعي قسمات التعجب على وجهك مما يتحدث فيه من أن كل شيء تمام.

أما المعارضة فهي على الطرف الآخر من الصمم العام لا تسمع إلا صوتها تلطم الخدود وتشق الجيوب، ولا ترى إلا السواد، وفيهم الفساد كما في الحكومة ولكنه مستتر، فالأزمة طالت الإنسان المصري والحكومة والمعارضة حتى النخاع!!

٤ - الدين أو بتعبير أصح صار مظهر الدين من كلمات ولباس نتحدث عنه، كلمة دائماً بين قوسين كلما تحدثنا عن أي شيء، فقد تجد مقالا سياسيا ما منشورا وبدون مناسبة تجد كلمات محشورة فيه مثل «إن ينصركم الله فلا غالب لكم» صدق الله العظيم، دون مناسبة ونجد أبوابا باسم متدين في دنيا الفن، أو كما في مجلة فنية تجد في باب الفن رسالة تستفتي المجلة شيخا من دار الفتوى حول مشهد في عمل فني، أي والله هذا يحدث، وفي المقابل تجد تعليقات القراء دون مناسبة تُدخل الله ورسوله والدين وأهله في كل تعليق حتى في

الطب والاقتصاد والفن.

وعجباً.. فعلى قدر ما تزيد المآذن في مصر ويصرخ الأقباط طلباً لزيادة الكنائس وتغطي النساء رؤوسهن ونودع بعضنا بلا إله إلا الله محمد رسول الله، ورغم كل هذا وأكثر فإن الأخلاق فاسدة والعمل أفسد.

٥- مازلنا نملك بعضاً من خفة الظل برغم كل ما فينا، والسخرية من الأشياء حين يضّيق بنا المنطق عن الاستيعاب، فكم تضحكني كتابات وأكثر منها تعليقات، ولكنه أحياناً ضحك كالبكاء.

وليس فيما سطرت سابقاً كما سبق أن ذكرت استقصاء علّمي أو دراسة قائمة على منهج بحثي، ولكنها مجرد انطباعات أو حتى مشاهدات، لحديثة عهد بالاتصال الإلكتروني الصحفي، وليس فيما كتبت إلا ما رأيت وقد يكون لا شيء فيه حق، لأنني مصرية فيها ربما من كل ما قلت جزء.. ربما!!

جريدة اليوم السابع - مايو ٢٠١٠

أيها العقلاء حاربوا بالسينما

من يقول ماذا؟ ومتى؟ ولمن؟ وبأي طريقة؟ تلك كانت القاعدة التي حفظناها عن الأساتذة الذين علمونا أبجديات الإعلام في جامعة القاهرة يوم أن اخترنا الصحافة مهنة ومستقبلا. تلك مقدمة قد لا تبدو مفهومة إلا إذا ربطتها ببقية الحكاية.. وأما الحكاية فهي قصة صراع سياسي وإنساني وجغرافي وحتى حربي تدور رحاها منذ أكثر من نصف قرن بين العرب وإسرائيل. وجرب العرب كثيرا من الأسلحة في حربهم فانهزموا في كثير منها وانتصروا في القليل، ومازالت الحرب قائمة والصراع دائرا. وسلاح واحد لم يقرب منه العرب رغم أنه الأقوى والأكثر فاعلية في ظل غياب أسلحة أخرى لا يملكونها.. الفن بكل أشكاله وخاصة السينما.. وربُ قائل بأن حديثي ما هو إلا هذيان أو تمسك بتوافه الأمور في ظل حديث جد خطير وهو الصراع العربي الإسرائيلي، ولكن دعوني أسوق أسبابي ربما أجد لقضيتي أنصارا حتى لو على الورق.

قبل أن تتحرك جيوش أمريكا وحشودها العسكرية وآلتها الحربية لأي بقعة من بقاع الأرض انتشرت موسيقاها وأفلامها وموضة ملابسها الجينز، واحتل الهامبورجر والكنتاكي مطاعم العالم ثم بدأت الغزو العسكري.. أي أن الدولة الأقوى في العالم عسكريا استعانت بآلة الفن والموضة قبل أن تستعين بالدبابة والبندقية. فما بال العرب الذين لا يملكون الدبابة والبندقية لا يستعينون بالفن والموضة التي يستطيعون امتلاكها؟!

للأسف تقف تهمة التطبيع حجر عثرة أمام أي شخص يتحدث في هذا الأمر، سواء

كان الحديث عن إسرائيل أم حتى عن الغرب بشكل عام. فينتهي بنا الأمر دائما إلى أن فنوننا وموسيقانا وثقافتنا تتحدث مع نفسها ولا تخرج أبعد من ذلك.

أفلامنا لا تخاطب أحدا إلا جمهورنا بل حتى بعض الجمهور، وموسيقانا لا تطرب أحدا إلا بعض الآذان، وطعامنا لا يعرف إلا بالكاد أفواهنا. بل أكثر من هذا إذا وجدنا فنانا ما يحاول أن ينطلق بموسيقاه لأي مكان خارج الحدود اتهمناه بأنه حالم بالسراب، وإذا وجدنا سينمائيا يسعى للوصول بأفلامه للاشتراك في مهرجانات عالمية أو إنتاج مشترك اتهمناه بالعمالة للغرب، وإذا حاول فنان أن يشارك في احتفالية ندًّا لإسرائيل قلنا عنه «مطبع» وذبحناه كما حدث مع يسري نصرالله منذ شهور.

في نيويورك تُعرض حاليا مسرحية على أحد مسارح حي منهاتن اسمها «فلسطين» تعرضها نجلاء إدوارد سعيد ابنة الفلسطيني الراحل، وهي من الجيل الثاني أو حتى الثالث للفلسطينيين في المنفى ولا تتحدث إلا الإنجليزية ولكنها تتمسك بجذورها، فهل احتفى بها أحد وهي تتحدث عن فلسطين فنيًّا في عقر دار العدو؟.

إسكندر قبطي مخرج عربي يحمل الجنسية الإسرائيلية مكرها، فيلمه «عجمي» مثل إسرائيل في مسابقة الأوسكار الأخيرة، شاهدته على قناة BBC العربية يقول؛ إنه لا يمثل إسرائيل رغم أن شريكه في الإخراج إسرائيلي، ولكنه لم يجد سبيلا لصناعة فيلم إلا بأموال إسرائيلية، فهل نجرؤ على عرض فيلمه ومساندته لأنه مخرج شجاع وقف أمام كاميرات العالم في أهم حدث فني عالمي ليهاجم الدولة العنصرية التي دعمته؟! فإذا كنا لا نستطيع أن نقدم أفلاما تنافس على الأوسكار كما تفعل إسرائيل منذ ١٩٦٤، فهل، على الأقل، نستطيع أيضا أن نساند هؤلاء الذين يجاهدون نيابة عنا؟

- كل أموال العرب مليارات المليارات التي تستثمر في الفن، تنفق على مطربي الكليبات العرايا، ويا ليت عريهم يفيد. كل مليارات شيوخ النفط تنفق في غرف نومهم وللأسف حتى رجال الأعمال في مصر حين ينفقون على الفن والثقافة فإنفاقهم مرتبط بمتعتهم الشخصية أو البرستيج ولن أعطي أمثلة على المتعة الشخصية ولكني سأكتفي بالحديث عن البرستيج كما يحدث في دعم مهرجان القاهرة السينمائي مثلا. أما في مجال الحديث عن أصحاب اللحى الذين يمثلون الإسلام المرتبط بالشرق فحدث ولا حرج، فضائياتهم

ينفقون عليها أيضا المليارات ولكن حديثها كحديث الطرشان، جمهورها المستهدف هو جمهور بالفعل مسلم أو على الأقل مرتبط بالإسلام، ينفّر من هم بالفعل على دينهم ولا يزيد منهم بل في أنجح الأحوال ينقصهم.

منذ عام تقريبا كنت عضواً في لجنة تحكيم المهرجان القومي للسينما، ومن بين الأفلام القصيرة والتسجيلية المعروضة في المهرجان كان هناك فيلم عن لقاء شباب مصري وإسرائيلي في مهرجان سينمائي وتحاورهم سويا، وكنت بشكل شخصي أرى أن فكرة الفيلم جيدة وشجاعة ولكني قوبلت بسيل من الهجوم من أغلب أعضاء لجنة التحكيم الذين اعتبروا الفيلم دعوة للتطبيع، ودار حديث مطول حول الأمر لن أطيل عليكم في نقله.. ولكن انتهي بي الحال وأنا المقاتلة إلى أن أنزوي في ركن بعيد هادئ لأني متهمة بالدفاع عن فن التطبيع.. تهمة كفيلة بإخراجي من رحمة العباد لا الخالق.

فلكل هؤلاء الذين يتحدثون بلغة بالروح والدم نفديك يا وطن، أو دين.. لكل هؤلاء طوق نجاتكم في السينما والموسيقى والفن ولكنها بالتأكيد ليست سيما الترسو ولا موسيقى الملاهي الليلية ولا فن العوالم، فهل هناك من مجيب؟

وعودة إلى البداية، القاعدة التي تقول من يقول ماذا.. أجيب.. أنا مصرية قومية موحدة بالله أقول قولي لأناس علّهم يعقلون ويتدبرون فيفعلون...

جريدة اليوم السابع - أبريل ٢٠١٠

أحلى من الشرف مافيش بين القاهرة وبيروت

ما أسهل أن تسير في الركب، وتنافق العامة، وتمشي مع الجماعة، وتغني بالنغمة التي تلقى قبولا ويحفظها الصغير والكبير.. وما أصعب أن تستفز العقول وتبحث عن أغنية ونغمة غير مألوفة ولكنها صحيحة وتتحدث بالعقل الذي منحنا الله إياه حين يغيب أمام ضغط الجماعة والمألوف والعيب واللاأخلاق.

مقدمة ليس فيها من الفلسفة شيء ولكنها ضرورية بل في صلب موضوعين أثارا صخبا طوال الأسبوع الماضي، أولهما حدث في قرية من قرى لبنان، بلد أشجار الصنوبر والأرز، الذي يعتبره العرب كل العرب قِبْلة التحرر والجمال، بل في أغلب الأحيان الانفلات الأخلاقي والفني. في هذا البلد الذي يعتبره المصريون والعرب بلد المقررات السهلة حدثت جريمتان وحشيتان، الأولى كما تقول مصادر الأخبار مقتل أسرة من أربعة أفراد على يد شاب، ثم تلتها الجريمة الثانية وهي انتزاع المتهم الذي لم تثبت الجريمة عليه بعد من يد رجال البوليس وقتله ضربا، ثم التمثيل بجثته، وربما يظن البعض أني أغفلت ذكر جنسية الجناة في الجريمتين، ولكني لم أشر إليهما لأن الأمر ليس له علاقة بهوية القتلة، فالأمر لا يخص لبنان ومصر بقدر ما يخص البشر، بغض النظر عن جنسيتهم السياسية.

إذن، في لبنان الجماعة قتلت رجلا ومثّلت بجثته وعلقتها على عامود الإنارة كما في العصور البربرية، ولكن باسم الشرف والأخلاق والعرف والتقاليد. البوليس لم يستطع أن يوقف طوفان الجماعة، بل لعله وهو الذي يحفظ النظام رأى فيما أرادت الجماعة جزءا من إرادته، فرجال الشرطة يسيرون أيضا في جماعات، وحين يكون الحديث عن الشرف

تضعف إرادة الأفراد أمام ضغط الجماعة، ومن العجيب أنه مهما كانت هذه الجماعة تتكون من أفراد لا يمتون للشرف والأخلاق من بعيد أو قريب لكنهم حين يجتمعون في قطيع ينسون كل خطاياهم ويتحولون إلى أنبياء يبشرون بالجنة ويلوحون بالنار، وتصير كل أثوابهم نقية وكأن الثلج قد غسلها، إذن الاحتكام إلى القطيع ليس دائما في الغالب هو الصواب، ولكنه الأسهل، والأضمن في الاختيارات وفي خداع الرأي العام.

وفي نفس الأسبوع، ولكن في القاهرة عاصمة المعز وهوليوود الشرق، دارت حادثة أخرى، مع الفارق الكبير بينها وبين الجريمة اللبنانية وبشاعتها، ولكنهما يتشابهان في الأسباب أو الدوافع باسم الأخلاق والأعراف وسيرا وراء القطيع ولعبا في المضمون.. يصدر منير الوسيمي نقيب الموسيقيين قرارا بمنع سير إلتون جون المطرب العالمي الإنجليزي الأصل، من الغناء في مصر.. قال إنه لأن الرجل شاذ يعلن عن شذوذه، وقد هاجم في تصريح له الحملة على الشواذ وقال إن المسيح كان بهم رحيما.. وأقوالا في هذا السياق.

ومن المثير أن الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان معقل الدفاع عن المسيح والمسيحيين قد ردت وقتها بأن هذه تصريحات خرقاء لن تطلب حتى الاعتذار عنها.

سير إلتون جون أحد أقدر وأفضل مطربي العالم وأكثرهم موهبة، نقيب الموسيقيين المصري يمنعه من الغناء في هوليوود الشرق لأنه مثليّ، عجبا أليس هناك كثير من النفاق الاجتماعي والسير مع القطيع واللعب على المضمون فيما فعله نقيب الموسيقيين؟! هذا النقيب ذاته هو من منح بيانسيه وآكون وشاكيرا وغيرهم من مطربي الخلاعة كما يراهم البعض.. أليس هو الرجل الذي يمنح التصاريح لعشرات من مطربات السرايز؟ والأهم وفصل الخطاب: كم من مطربات أو مطربين شواذ أو منحرفين أعطاهم الرجل ألحانه أو عزف خلفهم، وأنا أعرف منهم أسماء ولكني لست في مضمار معايرة أو رصد فضائح.

نقيب الموسيقيين المصري لا يرتدي ثوبا غسله الثلج والبرَد، ولكنه في خضم خوضه لمعركته الانتخابية آثر أن يكون من القطيع أو أن يكون على رأس القطيع وغازل الأخلاق وتدثر بها وهو ليس بكاهن.

الشذوذ الجنسي آفة ابُتليت بها البشرية منذ قوم لوط، وحذرنا منها الله سبحانه

وتعالى، هذا في كتب الدين وكلام الأخلاق، ومعيار حين نفتش في نسب أو زواج، ولكنه بالتأكيد ليس ضمن مسوغات الغناء أو الرقص أو غيره من الفنون، وإلا فسيضطر الوسيمي وغيره من نقباء المهن الفنية وحتى غير الفنية إلى شطب كثير من الأسماء من بين أعضائها.

خلط الأوراق واللعب على مشاعر الأخلاق والمحافظة وضمان أصوات القطيع في انتخابات جعل نقيب الموسيقيين يفعل ما فعل، ويتساوى في ذلك مع سادة طالبان الذين كسّروا تماثيل أفغانستان بحجة أن الإسلام منع الاحتفاظ بالتماثيل تشبيها لها بالأوثان، وكما فعل القطيع في لبنان بقتل القاتل قبل محاكمته والتمثيل بجثته لأن الدين يقول من قتل يُقتل. ثلاث جرائم تتفاوت درجاتها ولكنها جميعا تتدثر بالأخلاق أو الدين أو التقاليد والأعراف وبصيحة قطيع لو قلنا عنه «أغنام» لقطعوا ألسنتنا.

ولكن عفوا لن أسير في الركب ولن أمشي مع القطيع ولن أغني نغمة تلقى قبولا ويحفظها الصغير والكبير وليكن الطريق الصعب ضد بارونات القطيع والعازفين على المضمون، وأحلى من الشرف ما فيش.

جريدة اليوم السابع – مايو ٢٠١٠

شعار المثقفين .. لا تعايرني ولا اعايرك

تاريخ المعارك بين المثقفين طويل يحمل معارك بعضها فكرية، مثل تلك التي خاضها طه حسين حول كتابه الشعر الجاهلي، أو حتى لأسباب شخصية أو نفسية كتلك المعركة التي دارت بين اثنين من كبار كتابينا حين راح أحدهما يعاير الآخر بأمه، قائلاً «يا ابن من لو أغلقت ساقيها لُمت جوعا!».. مجرد مقدمة مقصدي بها أن معارك المثقفين منذ زمن أرسطو أو ما قبله تحمل دائماً أنواعاً مختلفة من السباب، وتصل إلى مدى كبير حتى في زمن الأدب، وكما قرأتم كيف وصف الأديب الكبير أم الأديب الآخر، فبدلاً من أن يقول له «يا ابن العاهرة» قال له ما قال، وبأسلوب رشيق رغم فجاجة المعنى.

كانوا وسيظل لمثقفون دائماً يتناطحون ويختلفون، لكن أتى عليهم زمن جديد، وهو الذي نعيشه الآن، فلم يعد التبارز بالفكر ولا المعايرة حتى بالأم في أقصى الأحوال، ولكن مثقفي مصر الآن صارت معاركهم والسبة الموجهة من طرف لآخر منهم بأنك «بتاع الحكومة» أو «بتاع المعارضة».. د. جابر عصفور أحد أساتذة الثقافة الحقيقيين في مصر، رجل ذو قيمة ثقافية عربية ومصرية، أستاذ لأجيال، ود. علاء الأسواني كاتب استطاع أن يصل بمبيعات كتبه إلى درجات لم تعهدها الحياة الثقافية المصرية الحديثة، التي هجرت الكتاب إلى الصحيفة على أكثر تقدير والإنترنت على أغلبه.. استطاع أن يعيد للرواية شعبيتها حتى لو اختلف النقاد على قيمة رواياته واستطاع أيضاً أن يعيد إلى الرواية المصرية وجودها على أرفف المكتبات لأوربية والأمريكية، التي لا تعرف إلا نجيب محفوظ وآخرين على استحياء.

إذاً نحن أمام قامتين من قامات الثقافة وساداتها، ولكننا أيضاً أمام نموذج للخلاف الثقافي في هذا الزمان.. والقصة بدأت بمقال كتبه الأسواني عن تكريم فرنسي حصل عليه وملاحظاته عليها، فرد عليه د.عصفور بمقال ناقد لفكرة الاستعلاء بالغرب والإيحاء بأن الأسواني يوعز للصحافة الغربية أن رواياته تتعرض في نشرها للمضايقات، وهو ما نفاه د. عصفور، فرد عليه الأسواني بحوار يصفه فيه بأنه حامل أختام وزير الثقافة والمدافع عن النظام، ويرد د.عصفور بأن هذه لغة الردح الجديدة في الحياة، إذاً معارك المثقفين الآن واتهامهم لبعضهم البعض أفسدته الدولة والسلطة، فكأن العلاقة بالحكومة صارت عهراً تماماً كالمعارضة، وكل منهم يعاير الآخر بما هو عليه.

والحق أنه لا فرق بين حكومة ومعارضة، فالفساد جذوره تضرب الجناحين لا فرق بيه بين مثقف وآخر.. فإن قال الأديب في زمن مضى ما قاله في وصف العهر، فإني أود لو قلت لسادة الثقافة المعاصرين، الذين أحترمهم وأجلهم لثقافتهم «لا تتنابزوا بالألقاب».

ولتكن كلمتكم «لا تعايرني ولا أعايرك الهم طايلني وطايلك».

جريدة اليوم السابع - مايو ٢٠١٠

الجنازة حارة والميت إيه ده

في كل العالم إعلام وصحافة يهتمان بقضايا كبيرة وهموم عامة، وأيضاً أشياء صغيرة، وهموم قد تبدو تافهة لدى البعض، في كل العالم وبلاد الدنيا صحافة تكتب عن النجوم وفضائحهم وخلافاتهم وحكاياتهم وأشياء أخرى، ولكنهم تظل مختلفة عما يحدث في مصر المحروسة. وأخيراً في كل العالم وبلاد الدنيا هناك فاصل واضح ومعروف بين صحافة محترمة وصحافة التابلويد أو الفضائح والهبل.

ولكن في المحروسة كما يختلط ماء النهر العذب بماء البحر المالح، وكما يختلط القبح في شوارعنا وبيوتنا وملابسنا وأخلاقنا ببعض الجمال، يختلط إعلامنا صحافة وتليفزيونا بنفس المعايير وبصورة غير مسبوقة.

خلطة صنعناها تدفع المتابع لأي شيء في حياتنا، إما إلى اللخبطة، أو في النهاية، إلى الكفر بكل المعايير.

فعلي مدى أسابيع طالعتنا الصحافة بأخبار بدأت في صفحة الحوادث بتقديم هيفاء وهبي بلاغا ضد من تقول عنه إنه مدير أعمالها، بأنه باع أغانيها لمغنية أخرى مصنفة في نفس فئة هيفاء التي تغني ولا تطرب وهي المغنية رولا سعد.

خبر بالتأكيد يستحق أن تنقله الصحافة، فاسم هيفاء جاذب للأنظار، وقد يستدعي نقل هذا الخبر أن تحدث له متابعة ما. ولكن أن تتفرغ صحافة قومية وخاصة بصفحات مطولة عن خناقة على أغنية «إيه ده إيه ده» بين هيفاء ورولا فهذا عين العبث.

فحين تكون الجنازة حارة والميت «إيه ده إيه ده» لا تقل لي إن على المشيعين أن يكونوا

بالمئات من الأخبار والصفحات والحوارات في صحف رصينة وأخري من فئة «إيه ده إيه ده»!!

هذا التناول الإعلامي لخبر هيفاء يدل على أن المالح والحلو قد اختلطا في إعلامنا وصار عشوائياً.. فلا صحافة رصينة ولا أخرى راقصة، صرنا نستطيع التفريق بينهما.

ورغم أنني من كتيبة العاملين في هذه المهنة، فإنني في الأصل من قبل أن أمتهنها حتى وأنا بينهم، فأنا قارئة للصحافة ومشاهدة للإعلام المرئي أتأثر به وأتعاطاه..

وقد يتهمني أحد بأنني توقفت شخصياً عند أغنية «إيه ده إيه ده» وهيفاء، ولكنني ما توقفت أمام هذا الأمر إلا كعينة عشوائية من اختلاط الأمور في حياتنا.. ولتكن أغنية هيفاء المسروقة وخبرها الذي يتصدر صفحات الفن مجرد مثل لحالة خلط مزرية لها كثير من الأمثلة، كفتاة تغطي شعرها بحجاب وتعري مؤخرتها ببنطلون بوسط ساقط، أو محطة تليفزيونية قومية بفلوس الناس تتبارى في التفاهة، مثل قنوات بفلوس فرادى ربما حصلوا على ثرواتهم من غسيل الأموال.. مناطق راقية سعر المتر فيها بآلاف مؤلفة، ورغم هذا تحيطها عشش وبيوت من صفيح.

منحتنا الطبيعة التقاء البحر بالنهر على شواطئ منطقة رأس البر، فعز على المصريين الآن أن يكتفوا من الخلط في الطبيعة، فأضافوا إليها خليطاً خاصاً ربما يتصوره البعض مماثلاً للطبيعة، ولكنه في حقيقة الأمر تشويه للحياة، حتى إذا نظر إلينا غريب لن يجد إلا عبارة واحدة يقولها وهي «إيه ده.. إيه ده..»؟!

جريدة اليوم السابع - يونيه ٢٠١٠

قريبًا الفن على رصيف مجلس الشعب

أظن أن بعضا أو حتى كثيرا من الناس في هذا البلد قد أصابهم اليأس من السياسة والاقتصاد المصري، بدليل أن برامج التوك شو الليلة قد فقدت كثيرا من جمهورها والمتابعين لها.

فقد اكتشفوا أن الأمر لا يعدو كونه صراخا يزيد من همومهم ولا شيء يتغير أو يتبدل، فالمعارضة تتكلم والخبراء يحللون وقيادات حقوق الإنسان تبكي وعشرات المئات من الضيوف لهذه البرامج يتكلمون كل ليلة بلا جديد. لم تعد هذه البرامج تثير الدهشة أو تجذب المشاهد الذي كان يرى فيها خلاصا وصوتا يعلو ويمثله أحيانا.

ولم تعد هذه البرامج إلا فرصة أو أملا وحلما لطالب معونة إنسانية بدليل العشرات الذين يقفون على أبواب ماسبيرو في انتظار محمود سعد فقط لعله ينطق أسماءهم ويحكي عن حاجاتهم للمال، فيتم منحه طلبه من مساعدات المشاهدين الباحثين عن مكان في الجنة التي وعد الله بها المتصدقين.

وبذلك فأخيرا لم تعد هذه البرامج إلا فرصة لطلب مساعدة مادية أو علاجية.. فتساوت مع برامج طارق علام أول من قدم هذه النوعية من برامج المعونة

وعود على بدء، يئس بعض الناس من السياسة والاقتصاد والرياضة عموما ولم يبق لهم إلا الفن من سينما وغناء ومسرح أحيانًا حتى لو كان في ذيل قائمة اهتماماتهم، وكنت كأحد المهتمين والعاملين في هذا المجال أرى أن قوة مصر الناعمة المتسللة إلى المنطقة

تكمن في هذه المرحلة التاريخية في الفن، فالسينما المصرية ونجومها ومطربوها ومسرحها مازالوا هم الزاد والزواد لدى كل عربي، حتى أهل العجم قد لا يعرفون عن المنطقة الكثير أو القليل ولكنهم يعرفون فقط معلومة أن مصر هي هوليوود الشرق ومصدر التنوع والبهجة في المنطقة.. فهل عزَّ على مصر أن تحافظ على آخر قلاعها الصامدة؟!

كنت لا أتمنى أن أكتب بنفس منطق برامج التوك شو الليلة التي خلقت تبلدًا ورفضًا لسماع أخبار نكد، ولكني للأسف مضطرة لذلك رغم أني أمتهن الكتابة عن البهجة... عن الفن.

نظرة على حال السينما في مصر تدعونا إلى الخوف والرعب، فالحالة الاقتصادية أثرت بشدة على الإنتاج السينمائي الذي أفسده المنتجون أنفسهم على مدى عقود، وما يحدث الآن من جدل بين النقابات الفنية من جهة مدعومة بمجلس الشعب، والمنتجين من جهة أخرى يدعونا إلى التساؤل: هل سيكون هذا هو المسمار الأخير في نعش السينما؟ النقابات تقول إن لديها فنانين فقراء تبحث لهم عن موارد للمعونة، مما دفعها للتفتيش في دفاتر النوانين القديمة فوجدت أنها تستطيع أن تحصل ضريبة ١٪ من منتجي الأعمال الفنية عند البيع، إضافة إلى ٢٪ التي تحصلها من كل شخص يعمل في أي عمل فني حتى لو لم يكن عضوا في النقابات الفنية.

ويأتي طلب النقابات الفنية في مرحلة يصرخ فيها المنتجون من ارتفاع أسعار الخامات والعمالة وعزوف الدول العربية عن شراء أفلامهم، وأخيرا عزوف الجمهور المصري حتى عن دعم الأفلام بالمشاهدة، وتحت الضغط يقرر المنتجون وصناع السينما وأصحاب دور العرض أنه إذا أصرت النقابات ومجلس الشعب على موقفهم فإنهم سيضربون ويغلقون دور العرض.. وربما يأتي قريبا يوم نرى فيه الفنانين يقفون على رصيف مجلس الشعب إلى جوار عمال المصانع... فالرصيف فيه مأوى لأصحاب أي اعتراض وشكوى.

ومن حال السينما الذي لا يسر عدوا أو حبيبا إلى حال المسرح، المسرح الحكومي والخاص... مسرح الحكومة يعاني من نصوص وعزوف نجوم عن العمل بملاليم الحكومة، أما المسرح الخاص فقد انطفأت أنواره بعد أن اختفى رواده من عرب أو فئات قادرة على دفع آلاف الجنيهات في سهرة واحدة.

وبقي جلال الشرقاوي وحيدا يريد أن يستمر ولكن الشمع الأحمر أغلق مسرحه وجلس الرجل وشباب الفنانين الذين يشاركونه العرض على الرصيف أيضا.

وإلى الغناء تصل بنا قاطرة الحديث حيث يجلس مطربونا على الرصيف أيضا بعد أن لفظتهم روتانا التي احتكرت الأسواق والأصوات ووضعتها في الثلاجة طويلا فصار نجومية الغناء للهجة الخليجية أو اللبنانية.. أجمل الأصوات المصرية تترنح كما أقبحها تماما ولم يعد لدينا من صوت مازالّ يحارب وحيدا إلا محمد منير.

وحدِّث ولا حرج عن سطوة الدراما التركية التي احتلت أعين المشاهدين في مصر ودراما أخرى خليجية وسورية تعلن عن نفسها على القنوات العربية للشهر الفضيل القادم، والتي كانت فيما مضى لا تتحدث إلا اللهجة المصرية. ما الذي حدث لفن مصر وأهله؟ هل أصابه ما أصاب السياسة والاقتصاد والرياضة؟ هل سنخفض آخر أسلحتنا في وجه الزمن والتاريخ.. أم سينفض القائمون على الفن في مصر الغبار عن أنفسهم ويفكرون في الخلاص ومعهم القائمون على هذه الدولة.. أم سيتركونهم على الرصيف مع أمثالهم من أصحاب قلة الحيلة؟ الفن المصري هو آخر قلاعنا سواء حللناه أو حرمناه.. سواء احترمناه أو ظننا أنه مجرد شغل عوالم.. أتمنى أن نفيق قبل أن نجد أنفسنا باكين مثل آخر ملوك الأندلس الذي وقف يبكي على مُلكه فقالت له أمه «ابك كالنساء على ملك لم تستطع أن تحميه كالرجال» وجلس بعدها على الرصيف.

جريدة اليوم السابع - يوليو ٢٠١٠

رقبة الرئيس

لا أدعي أني من بين هؤلاء الذين يشعرون بالولاء للحكومة كملايين غيري، ولا بالشفقة على المسئولين، ولا بحب الحزب الوطني برغم اسمه ولا أدين بفضل لعصر مبارك أو رجاله.

ولا أدعي أني من هؤلاء الذين يتبنون فكرة أن العيب ليس في المؤسسة الرئاسية، ولكن العيب فيما يحيطها، ولكني أعترف أني صحوت اليوم وبعد أن قرأت الصحف أحسست بالإشفاق لأول مرة على الرئيس المصري مبارك الذي طالب مجلس الشعب بالعدول عن مشروع القانون الخاص بتحصيل ١٪ من ثمن بيع الأعمال الفنية لصالح النقابات الفنية المهنية. هذا المشروع الذي تسانده النقابات ومجلس الشعب في مواجهة منتجي الأعمال الفنية السينمائية والتليفزيونية الذين هددوا بإغلاق دور العرض ووقف الإنتاج.

الرئيس طالب مجلس الشعب بعدم تمرير القانون لعدم دستوريته، وطالب المجلس بأن يتريث في المطالبة بمشاريع قوانين يثبت عدم دستوريتها لأنها تسن على عجل دون دراسة كافية.

شعرت بالفعل بعد قراءة هذا الخبر بالإشفاق الشديد على رجل يحكم بلداً يتطلب منه أن يجتمع بالمسئولين عن الزبالة، وأن ينبه مجلساً تشريعياً عن تجاوزاته الدستورية. شعرت بإشفاق على حاكم بلا غطاء تشريعي أو تنفيذي، فلا مجلس الشعب المنوط به معرفة وسن القوانين يعرف الفرق بين ما هو دستوري وما هو غير ذلك، ولا حكومة تنفيذية قادرة

على أن تيسّر أبسط حتياجات المواطن من أن يعيش في شوارع بلا ربالة

منذ سنوات ليست بكثيرة، كتب أحد رؤساء تحرير إحدى الصحف القومية أنه يشعر بالإشفاق على الرئيس من حكم الشعب يومها، كتبت عشرات الأقلام تهاجم الصحفي الذي وصل به التملق أنه مشفق على احاكم من المحكومين، وصارت الحكاية نكتة صحفية وقفشة سياسية، ولكني لا أشفق على الحاكم من المحكومين، ولكني أشفق عليه ممن اختارهم ليشاركوه الحكم، ولعلي في ذلك أخرج من الاتهام بتملق السلطة بأقل قدر من الخسائر، وأتساءل ما هذا البلد الذي صار كل خطب فيه يبدأ من عند الرئيس وينتهي إليه؟ كل صاحب حق أو كل متصور حق يطلب الدجوء للرئيس؟ وكل تجمع يظهر أمام الشاشات من متضرري سيول إلى زلزال إلى غلاء إلى عشوائيات كلهم يمسكون برقبة الرئيس؟ ما هذا البلد الذي صار حتى مرضاه يحلمون بالشفاء على يد الرئيس، وكأننا خلعنا على الرجل رداء آلهة الإغريق القادرة على أن تضع عصاها على النحاس ليتحول إلى ذهب أو حكام الفراعنة الآلهة.

حسني مبارك مجرد رجل يأكل مما يأكل ويمشي أحيانا في الأسواق، ولا يملك عصا آلهة الإغريق ولا الفراعنة، فكيف به يحمل ما تحمله له حكومته الرشيدة بشقيها التشريعي والتنفيذي؟ ولذا أنا لن أشفق على الرئيس من الشعب ولكني أشفق عليه من حكومة ومسئولين اختارهم ليتبوأوا كراسي المسئولية إلى جواره، فما كان منهم إلا أن حذلوه دون استثناء، أما الشعب فلا عزاء له إلا الإمساك برقبة الرئيس وله الحق فهل من رقبة أخرى نمسك بها؟!

جريدة اليوم السابع - يوليو ٢٠١٠

سلام على الاستفتاءات

اعتاد المصريون منذ عقود على سماع كلمة استفتاء في المجال السياسي، كما اعتادوا أيضاً على أن يكون يوم الاستفتاء يوم إجازة رسمية حتى لو لم يعلن ذلك، لأن لا أحد فيهم يذهب إلى صناديق الاقتراع على الاستفتاء، سواء كان خاصاً بقانون أم تعديل دستوري أو انتخابات، ولكنهم يجدونها حجة قوية للتغيب عن العمل، وكما لا يهمهم أن يذهبوا للمشاركة في الاستفتاء لا أحد في الشارع عادة ما يتوقف أمام نتائج تلك الاستفتاءات، لأنهم يعرفون نتيجتها مسبقاً ٩٩٪، وبالتالي كفر أغلب المصريين بالاستفتاءات السياسية منذ زمن ولم تعد تهمهم، لأنهم يعرفون أنها مضروبة وتضاءلت أمام المصري القدرة على الاستفتاء، إلا في مجال واحد وهو الفني، فالاستفتاء على نجومية أحد أو حب الجماهير لعمل فني ما معاييره ثابتة يصعب تزويرها وتكون واضحة جلية من خلال إيرادات الأفلام أو المسارح وغيرها وكثير من المظاهر التي لا تخفى على أحد فبقي الفن المصري بأنواعه هو المجال الوحيد مع كل عيوبه الذي يصعب فيه تزوير إرادة المنتخب أو المستفتي.

ولكن يبدو أن البعض قد استكثر علينا هذه الميزة ورؤوس الأموال التي باتت تنفق، خاصة في مجال الإعلام والتليفزيون لا يرضيها أن تقبل الهزيمة.

وصار موسم رمضان وما بعده موسم ضرب الاستفتاءات وحتى شركات قياس المشاهدة والتي تعد في كل مكان في العالم صاحبة كلمة كالجنية الذهب صارت هي الأخرى تضرب قياسات المشاهدة على هواها وهوى أصحاب المحطات الفضائية

ومنتجي البرامج والمسلسلات

ونظرة سريعة على أي من الاستفتاءات، سواء التي أعلنتها الصحف أو المحطات الفضائية أو شركات قياس المشاهدة ستعرف معنى ما أقوله فالبرنامج الفلاني لفلان الفلاني هو البرنامج الأول في المشاهدة والأجدر بالتكريم، وتسأل نفسك ومن حولك ومن حولهم فيه حد يا جماعة شاف هذا البرنامج أو حتى سمع عنه كلمة حلوة أو وحشة، فلا تأتي إجابة ويقول الاستفتاء فينا يقول إن الست فلانة الفلانية هي أعظم مذيعة وأن المسلسل الفلاني هو الذي حصن الأصوات وأن الممثل الفلاني والمطرب الثاني هو أحق بالتكريمات والأصوات وتظل أنت كمتلقٍ لهذه النتائج تسأل وتسأل كيف ومتى ولماذا، ولكن أسفاً لا تجد إجابة حتى إنك تكاد تشك في نفسك وفيمن حولك بأنكم جميعاً كاذبون وأن ما أخرجته نتائج الاستفتاء هو حق.

فإن كنت من بين هؤلاء مثلي فلا تحزن، لأن الحقيقة قد زوّرها الآخرون ولا تشك في نفسك أو في آخرين كثر قالوا لك رأيهم في الأعمال الفنية أو في المحطات الفضائية التي تطاردنا ليل نهار ببساطة، لأن التزوير صار سمة حتى الاستفتاءات الفنية.

لقد عز على أصحاب هذه الاستفتاءات دون استثناء أن يكتفي المصريون بالتزوير السياسي، فصار التزوير حتى في المجال الوحيد الذي كنا نتباهى بأنه ليس فيه واسطة أو وساطة، وسلم لي على الاستفتاءات.

جريدة اليوم السابع - أكتوبر ٢٠١٠

لعبة تحرق البلد

تواترت الأنباء حول معركة الأجور بين عمرو دياب وتامر حسني حتى صار الأمر يبدو كمزاد من يعلو على الآخر، ولست هنا في معرض الحديث عن حكايات عموره وتموره أو غيرهم من النجوم وأجورهم، فأجور الفنانين والنجوم يدفعها منتج من ماله الخاص ولا تمنحهم إياها الدولة من أموال دافعي الضرائب، إذ إن هذه الأجور هي نتيجة تعاقد خاص لا يجب أن تخضع لمراقبة الرأي العام ولا يجب أيضا أن تكون موضع انتقاد أو تهليل من قبل الصحافة.

ورغم ذلك، لا تخلو صحيفة من أبواب مثل بورصة النجوم أو اقتصاديات النجوم وحديث عن من يتقاضى كم حتى يبدو البعض حين يكتب في هذا الأمر يكتب بمنطق «جتنا نيلة في حظنا الهباب».

وقد تفاقمت هذه الظاهرة بشكل كبير ليس في الصحافة فحسب بل في المجتمع بأسره، ولم يقتصر الأمر على نجوم الفن وحدهم بل نجوم الكرة ونجوم الإعلام وغيرهم من المشاهير حتى صار حديث الأجور حديث الشارع في غير محله.

واستشرت الظاهرة ولا أقصد هنا ظاهرة الملايين ولكن ظاهرة الإعلان عن الملايين، وخاصة لدي أهل الفن، فبعد أن كانوا يخفون أجورهم في عقود خاصة عن الضرائب، صاروا يسرِّبون أخبارا مغلوطة عن أجورهم للصحافة كنوع من المباهاة وكيدا في الأعداء وتقييما وهميا كأن الملايين تمنحهم هيبة.

وحكاية عمرو وتامر أخيراً مثال صارخ على ما أوردته، ويتناسى الجميع في غمرة

حديث الملايين نجوما وصحافة، ما هي مهمة كل منهم في مجتمع على سطح من صفيح ساخن، إنهم يلعبون بالنار وللأسف نارهم لن تحرقهم وحدهم ولكنها ستحرق مجتمعا بأكمله.

ففي بلد مثل مصر يعاني من آلاف المشكلات من فقر وغياب العدالة الاجتماعية وتآكل الطبقة الوسطى وجهل عام، يؤدي إلى حالة غل مجتمعي بين الطبقات، وفي بلد يغامر آلاف من شبابه بركوب مراكب لموت هربا، ومتوسط دخل أغلبه عشرات من الجنيهات فقط في الشهر.. في ظل كل ذلك تنسى الصحافة وبعض الصحفيين دورهم في الحفاظ على هذا المجتمع من الانفجار، فالصحافة كما علمها لنا أساتذتنا التزام تجاه قارئ بالحقيقة وتجاه المجتمع بالحفاظ عليه، فما فائدة إخبار قارئ بأجر نجم؟ وماذا يمكن أن يحدث في مجتمع ظروفه كما أردفت سابقا وكلنا نعرف؟ والأهم أن كل أخبار أجور النجوم كاذبة، فلا عمرو سيحصل على ٤٠ مليوناً ولا تامر سيحصل على ٨٠ مليوناً.

والسؤال الأهم والأخير، ماذا سيحدث إذا لم نعرف أجر النجم؟ هل ستقل معلوماتنا العامة؟ هل ستكون الصحافة مقصرة في مهمتها تجاه المجتمع، هل وهل والإجابة بلا كبيرة وعالية.

أما ماذا يحدث حين نكتب عن الأجور الكاذبة أو حتى الحقيقة إلا أننا نزيد من إحباط المحبطين وغيظ المطحونين وحقد وكراهية المظلومين.

الأستاذ تامر ومعه كل الأساتذة الذين يسيرون أنباء ملاييهم للصحافة يلعبون بالنار وهم غافلون، وحين تجاريهم الصحافة في لعبتهم فإنهم بغير وعي يحرقون مجتمعا بالفعل تحاصره النيران وهم يلعبون.

جريدة اليوم السابع - أكتوبر ٢٠١٠

هوامش على دفتر الوكسة الإعلامية

يبدو أن الحديث عن الإعلام سواء كان مكتوبا أم مسموعا أو مرئيا أصبح حديثا يهم العامة بمختلف شرائحهم.. بعد أن كان الحديث في شئون الإعلام حديث الخاصة على مدى عقود من الزمان.. فما إن تجلس في تجمع أيا كان تخصصه أو اهتماماته تجدهم يثيرون الحديث حول الصحافة، وهنا مقصدي، ليس ما تنشره الصحف ولكن ما يثار بالصحف من شأن داخلي، كما أن حديث العوام قد كثر أيضًا على تداعيات أزمة إغلاق محطات فضائية وبرامج بعينها. إذن خلاصة الأمر أن الشأن الداخلي للإعلام الذي كان حديث أهله فحسب صار شأنًا عامًا يحق للقاصي والداني أن يدلي فيه بدلوه مع ما في الأمر من كثير من الالتباس وخلط الأوراق، فحين تقل المعلومات المتاحة للجمهور عادة ما يخطئ التقييم.

ولسبت أدعي أن ما سأسطره في السطور التالية هو فصل الخطاب، أو الحق الكامل الذي يجب أن يبني عليه أي مراقب من الناس للمشهد الإعلامي رأيه، ولكنها شهادة حق أكتمها أغلب الوقت لأنها تخص أهل الدار، ولكن حين تناثرت أخبارهم ما عاد الصمت عليها شرفا.

في ظل أزمات إعلامية متلاحقة تسبق أزمة جريدة الدستور وبرنامج القاهرة اليوم وقرارات وزير الإعلام بإغلاق عدد من المحطات كانت هناك أزمات ربما نسيها الناس، مثل أزمة الأهرام وكثير من الصحف القومية التي تغيرت قياداتها، فثار لغط كثير حول رؤسائها السابقين وتربحهم من وظائفهم والملايين التي كانوا يتقاضونها و«السونا» التي

كانت ملحقة بغرفهم، وحكايات أخرى كثيرة.. في ظل كل هذا وأكثر لم أجد إلا أن أخط بعضا مما أشهد عليه لعلها تكون مجرد هوامش على دفتر النكسة أو الوكسة الإعلامية والمهنية التي نعيشها.

أولاً: يحفل المشهد الإعلامي بكثير من الكذب والخداع، فأكثر من يذكرون الشرف في مقالاتهم، وأكثر من يتحدثون عن الشفافية والمواطن الغلبان في برامجهم، وأكثر من يزعمون المعارضة في حديثهم ليسوا كذلك، أو كما تنطق ألسنتهم بل أغلبهم أبطال من ورق لو رأيتهم في لحظات الصدق القليلة، وخلف الكاميرات وبدون أقلام لفررت منهم ولكنها الدعاية التي قال عنها جوبلز داهية النازي إنها تصنع المعجزات وفي الإعلام المصري والعربي الدعاية على ودنه على رأي توفيق الدقن صاحب العبارة الشهيرة أحلى من الشرف ما فيش، وهو من كان أبعد عن الشرف.

الإعلام إخبار بحقيقة أو على الأقل حقيقة كما يراها ناقلها، ولكن الدعاية إخبار بكذب ناقلها واثق من كذبها، وفي مصر الفروق بين الإعلام والدعاية تكاد تكون منعدمة.

ثانياً: مرت عقود وسنوات طويلة كان فيها الإعلام مهنة الناس الغلابة كما كانت مثلا مهنة المدرس، ولكن تغيرت الأحوال كما هي عجلة الحياة فلا صار الراكب راكبا ولا السائر سائرا، فلا المدرس صار المواطن الغلبان الذي يتقاضى الملاليم ولا الصحفي أو الإعلامي، صار شرطا أن يكون من أصحاب الدخل المحدود، وبالتالي صارت المهنة جاذبة للضوء ومع كثرة الأضواء يزداد الهاموش وكثير من الكائنات الطائرة والزاحفة.

ثالثاً: من العجب أن ما حدث وما قيل عن رؤساء تحرير ومجالس إدارة الصحف القومية والملايين التي يتقاضونها وانفجار حقائق كثيرة مخزية بقوة القانون بردت نارها، والعجيب أن من يجلسون على كراسي السابقين يتقاضون نفس ما كان السابقون يتقاضونه، فاللاحقون بقوة القانون الذي سنه السابقون لم يغيروا ما انتقدوه بل صاروا يتمرغون في خيراته وربما يدعون بالرحمة لمن سبقهم لأنهم ستّفوا الأوراق لتعطيهم ما ليس من حقهم، وعاد الصمت للصحف القومية وما عاد أحد يقول من أين لك هذا، ربما ينتظرون لحظة تغيير ينتفضون عندها ويقولون: أحلى من الشرف ما فيش.

رابعاً: صناع الصحف الخاصة هم من أهل البيت الذي تربى في حضن صحف الحكومة، ولذا فأغلبهم يبدو كمن يتمرد على أمه وأبيه إذا شب عن الطوق ولكنهم في النهاية تربية الحكومة وأحلى من الشرف ما فيش.

خامساً: كشفت أزمة جريدة الدستور بعضا مما يدور في الكواليس، وإن ظلت الغيوم تعمي العيون، فالكلام عن تهرب من الضرائب وعمولات وكتابة أسهم بأسماء غير حقيقية من الطرفين الملاك أو التحرير، كشفت هذه الأخبار وإن تناساها البعض، لارتفاع أصوات الصراخ، عن فساد خلف الأبواب مهما علت أصوات أصحابها بكلمة أحلى من الشرف مافيش.

سادسا: في ظل تباري الإعلام بالتسابق على مهاجمة الحكومة والنيل منها وكأنها الشيطان الوحيد بيننا «الحكومة شيطان نعم ولكن ليست في عالم ملائكة بأجنحة» نسي الجميع المهنية الأصلية كمعيار للبقاء وصارت القوة للصارخ الأكبر في لعن الحكومة وصارت الزعامة والعبقرية لطولة اللسان وقلة الأدب حتى صار إعلامنا نسخة من شوارعنا وما أكثر زبالتها.

سابعاً: لم يسلم أصحاب اللحى والمتشدقون بكلام الله ورسوله من كل الرذائل التي أحاطت بالإعلام، ولم تفطن وزارة الإعلام لتسللهم عبر دماء الشعب إلا بعد خراب مالطة حين تحول رجالاتها إلى قادة تماما كقادة الإعلام أبطال من ورق ولكنهم ورق يحمل نارا في مجتمع مشبع بالبنزين.. الناس في الشارع تردد شتائم الإعلاميين وفتاوى أهل الدين على الشاشات ويعلم الله أن أغلبهم كاذبون، سيدهم الإعلان ومعبودهم الدولارات وأحيانا الجنيهات وأحلى من الشرف ما فيش.

كانت هذه مجرد هوامش على «دفتر النكسة» أو الوكسة الإعلامية، وعدرا لنزار قباني صاحب تعبير «هوامش على دفتر النكسة».

جريدة اليوم السابع - أكتوبر ٢٠١٠

المقاطعة ليست هي الحل

طالعتنا الأخبار بنبأ إصدار اتحاد النقابات الفنية، الذي يضم الممثلين والسينمائيين والموسيقيين، بياناً يستنكرون فيه وجود منتجة إسرائيلية بين ضيوف مهرجان أبو ظبي السينمائي، الذي انتهى منذ أيام، اعتبرت النقابات الفنية وجود هذه المنتجة وفيلمها «الغرب هو الغرب»، بل فوزه بجائزة الجمهور نوعاً من التطبيع، وبالتالي يحرم على أي فنان ينتمي لهذه النقابات التعامل مع هذا المهرجان، إلا إذا أعلنت إدارة المهرجان، التي يترأسها المخرج الأمريكي بيتر سكارليت اعتذارها وجهلها بكون هذه المنتجة إسرائيلية.

وتبارى الزملاء الصحفيون وبعض من المثقفين في شجب، ورفض الفعلة الشنعاء لمهرجان أبو ظبي.

هذا كان ملخصاً لما خرجت به الصحف خلال يومين حول هذا الخبر، وعلى الجانب الآخر، لم يصدر من مهرجان أبو ظبي أو من أي مؤسسة أخرى تابعة للمهرجان أي تعليق، اللهم إلا مقال منشور على موقع ميدل إيست نيوز يرد على هذه الحملة الصحفية، بأن نقباء الفنانين في مصر يهاجمون مهرجان أبو ظبي بسبب فشل المهرجانات المصرية، ولا أتمنى بالتأكيد بما أكتب أن أدخل طرفاً في سجال أن مهرجاناتنا أحس من مهرجاناتكم، أو أننا أكثر وطنية من رجال أبو ظبي، أو أن أحكي عن دماء شهداء أكتوبر المصريين وأبكي عليهم، لأنه في ذات الشهر بعد عقود تستضيف أبو ظبي مخرجة تعترف أنها إسرائيلية وتمنحها أبو ظبي جائزة الجمهور وهي ٣٠ ألف دولار.

كل ما سبق ذكره من السهل أن أقوله وأشعل حماسة القراء وأرفع صوتي بالوطنية

وبالروح والدم وأجد آلافاً، بل ملايين يقولون عني بطلة في زمن أبطال وبطولات الكلام.

ولكن للحق لا أستطيع بحال من الأحوال أن أصفق لأصحاب قرار مقاطعة مهرجان أبو ظبي، ليس لأني من رواده، فأنا لم أحضر إلا دورته الأولى، ولم أذهب ثانية، لكنني أتمنى أن نناقش الأمر بمنطق بعيداً عن المزايدات، لأن استخدام التطبيع بحق صار بغير معنى في استخداماتها الحالية.

تعبير التطبيع جاء في مطلع الثمانينيات بعد توقيع اتفاقية السلام، لكن كل أطياف الشعب كانت ومازالت ترفض تعامل الإسرائيليين في جميع المجالات، واستخدمت ورقة التطبيع في حينها كورقة ضغط شعبية على العدو الإسرائيلي.

ورغم أن إسرائيل تغلغلت في حياة المصريين، سواء من خلال بعض النخبة الاقتصادية، الذين تعاملوا معها في مشروعات زراعية وغيرها، وكثير من رجال الأعمال الذين نعرفهم بالاسم يصدرون ويستوردون بضائع إسرائيلية موجودة في الأسواق، ولست بحاجة لأن أذكر أن ما من مسئول في هذا البلد إلا وله لقاءات وتعاملات مع إسرائيل.

ورغم كل هذه السنين، التي جرى فيها كثير من المياه، ظلت تهمة التطبيع دون تعريف محدد سيفاً على الرقاب وشهره حين نريد، ونضعه في غمده حين نضعف أمام المطبقين وخلطنا الأوراق. فصار حين نترجم كتباً إسرائيلية نتهم مترجميها بالتطبيع، ومتناسين المقولة الشهيرة «اعرف عدوك»، وصار سفر فنان إلى رام الله أو غزة المحتلتين وتقديمه لحفل عنائي في مهرجان سينمائي تنظمه السلطة الفلسطينية تطبيعاً، مثل هند صبري، وحتى مشاركة فنان في فيلم أمريكي أو بريطاني يكتشف أن أحد ممثليه إسرائيلي يعد تطبيعاً، مثل خالد النبوي، وأخيراً اتهمنا عمرو واكد، لأن مسلسله الإنجليزي عرض في إسرائيل، وكأنه صاحب اتفاق العرض.

للأسف لقد فرغنا كلمة التطبيع من معناها الحقيقي، وصارت مجرد تهمة جوفاء يستخدمها البعض للمزايدة على الوطنية والحمية.

وأخيراً تأتي قصة مهرجان أبو ظبي ومقاطعته لتؤكد ما أقوله، فالمنتجة ليزلي يودوين

هي إنجليزية من برمنجهام، وتعيش حالياً في أستوكهولم، وهي ممثلة ومنتجة قدمت فيلم «الشرق هو الشرق»، وهو فيلم جيد جداً، ثم تلته بفيلم «الغرب هو الغرب» كجزء ثانٍ، والذي عرضته في مهرجان أبو ظبي وليس هناك ما يشير في أي من بياناتها أو ما هو مكتوب عنها أنها تنتمي لإسرائيل من قريب أو بعيد، أما كونها هي التي أعلنت ذلك في مؤتمر صحفي، فهذا ليس تواطؤاً من المهرجان، لأنها منتجة إنجليزية شاركت بفيلم إنجليزي، فهل كان مطلوباً من إدارة المهرجان أن تأتي بسلسّال أفكارها وشجرة عائلتها؟ يا سادة تلك مزايدات لا يصح أن يقع فيها أصحاب الصوت العالي في هذا البلد.

للأسف دائماً نخسر معاركنا، لأننا لا نوجه سهامنا في الطريق الصحيح.

إسرائيل تعرفنا بمنطق الكبار، فهي تعرف عنا ماذا نأكل ونشرب؟ وكيف ننام؟ وقبله كيف نفكر؟ وحتى نكاتنا التي نضحك عليها في الوقت الذي نحن نقاطعها بمنطق الأطفال، وكأننا نقول لها إحنا مخاصمينك، ولا نريد أن نعرف عنها شيئا، لأن الأسهل أن نقاطعها ونعيش بمنطق أنها غير موجودة.

الحقيقة إن إسرائيل مزروعة في جانبنا ترقبنا عن كثب، ونحن نرفع شعار عدم التطبيع، الذي يجعلنا نغطي أعيننا عنها، وهو عين الخطأ.

والأهم إن كانت النقابات الفنية قررت مقاطعة مهرجان أبو ظبي، فأذكر بأن عليهم مقاطعة وزير الثقافة وكل الرؤوس الكبرى في هذا البلد، لأنهم مطبعون «بمنقط الطفولة»، فهل هم فاعلون؟

جريدة اليوم السابع - نوفمبر ٢٠١٠

جامعة عين شمس وفجاجة الفن والسياسة

منذ شهور وأنا أرصد ما يحدث في جامعة عين شمس بعين فاحصة وقد كتبت في أكثر من موضع معلقة على سيل التكريمات التي حظي بها عدد من الفنانين أخيراً من جامعة عين شمس.

ولنبدأ الحكاية منذ البداية، فعلى مدار التاريخ القريب حين كان التعليم العالي منحصرا في أحضان الدولة كان هناك دائماً نشاط فني داخل الجامعة يتمثل في نشاط الطلبة أنفسهم من مسرح وغناء وغيره من النشاطات، ولكن منذ أن دخل المال الخاص في تمويل التعليم العالي تغيرت أشكال النشاطات الفنية في الجامعات وأصبحت صور وأخبار نشاطات الجامعات الفنية في صدارة صفحات المجتمع وإن اقتصر أغلبها على حفلات فنية لمطربين وراقصات، حتى بدا وكأن نشاط الجامعات الفني مقتصر على غناء شباب المطربين وتبارت الجامعات الخاصة فيما بينها على من هي الجامعة التي تحظى بالمطرب الأكثر كنجم في أرجائها.. ولم نعد نسمع عن نشاط فني يخرج طلبة من الجامعات يصيرون نجوما أو حتى أنصاف نجوم كما كانت الحال في أجيال سابقة مثل جيل عادل إمام خريج الزراعة ورفاقه أو جيل الفخراني خريج الطب وعشرات من الأمثلة.

والخلاصة، أن القانون الفني للجامعات الخاصة استشرى وتفحل فوصل إلى المدارس أيضاً حتى تحولت بعض الحفلات الفنية المدرسية إلى فضائح وتحرشات وحالة من التدني الفني.

هذه الحالة كانت حتى وقت قريب تبدو خاصة بالجامعات والمدارس الخاصة ولكن

أخيراً دخلت جامعة عين شمس منذ أن تولى رئاستها الدكتور ماجد الديب خلفاً لرئيسها السابق أحمد زكي بدر.

ولم تكتف جامعة عين شمس بالحفلات الفنية فلا اعتراض على الإطلاق أن تقيم الجامعات حفلات فنية، بل يجب أن يقام كثير من الحفلات في الجامعة، ولكن السؤال أي نوع من الحفلات والفن الذي يجب أن تؤسس له الجامعة في عقول ونفوس طلابها؟! بالتأكيد ليس فن الهمجية والرداءة.

ولم تتوقف مصيبة جامعة عين شمس عند نوعية الحفلات والنجوم المدعومة لنشاطهم الفني لكن المسألة صارت حالة انفجار إعلامي، فلا يمر يوم أو أسبوع إلا وتطالعنا الأخبار بأن جامعة عين شمس استضافت الفنان الفلاني لندوة ومنحته تكريماً خاصاً.. يا سلام تخيَّلوا مصطفى شعبان تكرمه الجامعة عن مسلسل «العار» وسامح حسين عن مسلسل «اللص والكتاب» وحماقي عن غنائه وأخيراً حكيم الذي هز وسط جامعة عين شمس بأغاني «بيني وبينك خطوة ونص!!» وخرجت الأخبار بتحرشات وضرب وفضائح في تلك الحفلات، ولو صمتت إدارة الجامعة إزاء تلك الأخبار لقلت عادي ولكني قرأت تصريحاً للدكتور ماجد الديب منذ حوالي أسبوعين في صحيفة «الشروق» أصاب ضغط دمي بارتفاع مفاجئ برغم أني من أصحاب الضغط المنخفض عادة.

الأستاذ الدكتور ماجد الديب رئيس جامعة عين شمس - لا فض فوه - صرح في الجريدة بأنه سعيد بهذا التكريم للنجوم وحفلاتهم لأن «أي والله هكذا قال» هذه المناسبات تؤثر في تفاعل الطلبة مع المجتمع وفهمهم لدورهم الاجتماعي..يا سلام م م!!

أحترم الفن والفنانين وأفهم أن تكرم الجامعات بعضهم، ولكن على أسس لها علاقة بالعلم أو العمل القيم، ولكن أن يكون التكريم الجامعي مرتبطاً بالفجاجة فهذا إرساء لقواعد غير أخلاقية أو مهنية، والأكبر أنه كارثة تضاف لكثير من أخلاق الأجيال الجديدة، والوكسة أن الجامعة هي التي تؤصل لها. ولذا لم أكن من بين هؤلاء الذين فاجأهم ما حدث في جامعة عين شمس منذ أيام، وأطلقت عليه الصحف والفضائيات بلطجة وكارثة أو فضيحة أو جريمة، فصور الطلبة الذين يعتدون على الأساتذة والجنازير والألفاظ، ما هي إلا تداعيات طبيعية ومنطقية جداً لصرح تعليمي يكرم أبطال «العار»

و«اللص والكتاب» و«بيني وبينك خطوة ونص» و«أحلى حاجة بحبها فيكي».

كل من كتب أو علق على حادث جامعة عين شمس الأخير ربط القصة بهدف عودة الحرس الجامعي وبأهداف سياسية ولا أنكر على هذا التحليل صحته، ولكني أرى ما حدث في جامعة عين شمس نتيجة أو ظاهرة مكملة لصورة حرم جامعي يترك أبوابه مفتوحة للفجاجة بداية من الفن مروراً بالأخلاق لنصل إلى سياسة البلطجة والتحرش، إنها الصورة مكتملة والحادث الأخير مجرد تفصيلة من تفاصيل كثيرة هزلية وكارثية في حرم جامعة من المفروض أن تخرج أجيالاً متعلمة تقود إلى النور لا إلى التحرش والبلطجة.

جامعة عين شمس بدأت بفجاجة الفن لتصل إلى فجاجة السياسة والأخلاق.

جريدة اليوم السابع - نوفمبر ٢٠١٠

obeikan.com

(مساء الأنوار) في ٦٧٨ وسلم لي على مصر

تعرض حاليا دور العرض المصرية فيلم «٦٧٨» الذي كتبه وأخرجه محمد دياب في سابقة أولى للسينما المصرية، حيث يتعرض لظاهرة التحرش الجنسي الذي أصبح ظاهرة ضاربة في جذور المجتمع المصري، ولست هنا بصدد الحديث عن فيلم سينمائي، فالأفلام تعيش ونستطيع الحديث عنها على مدى أسابيع، بل حتى بعد سنين إن طال العمر، ولكن حاضر المجتمعات وأزماتها لا يحتمل الصبر. وحاضرنا صار ذا مرارة كالعلقم إن لم نفتح جراحه، وبعضٌ من جراحنا أننا استمرأنا الفساد حتى صار نغمة يومية تصدح على آذاننا وأمام أعيننا ليل نهار، وبعضٌ من فسادنا متمثل في إعلامنا، وأغلب فساد إعلامنا متمثل في شقين: الدين بقنواته وبرامجه ورجالات إعلامه، والرياضة وقنواتها وبرامجها ورجالات إعلامها.

ورب سائل يسأل: أما وإن كنت أتكلم عن الإعلام فلِمَ ذكرت في المقدمة فيلم «٦٧٨» الذي يتناول ظاهرة التحرش الجنسي؟ والإجابة ببساطة أن آخر ما أصابنا من برامج الرياضة من حوادث كان أشبه بالتحرش الجنسي، فما حدث على الهواء مباشرة منذ أيام على قناة مودرن الرياضية من أحد من يطلقون عليهم نجوم الإعلام الرياضي مدحت شلبي هو تحرش جنسي، ولكن على الهواء مباشرة وليس لامرأة واحدة ولكن للملايين.

الكابتن مدحت شلبي كما يعرف القاصي والداني قرأ نكتة قبيحة ومتحرشة على الهواء مباشرة، ولم تكتف الرياضة أو الكرة في مصر بذلك، بل بعدها بساعات سمع أيضا الملايين تحرشا لفظيا جماعيا في نهاية مباراة الأهلي مع حرس الحدود، بلاعب الزمالك

شيكابالا، وساهم الإعلام حين ترك أصوات الجماهير دون قطع. وأعاده برنامج شوبير على آذان الملايين مرة أخرى دون قطع أو مونتاج كان ممكنا.

ثم اكتملت المهزلة حين خرج أيضا على الملايين السيد رئيس قناة مودرن في برنامجي «٩٠ دقيقة» و«العاشرة مساء» وهو يقول إن القناة قد وجّهت اللوم لمذيعها، وإنها لا تسمح بأي تجاوز، ولا حاجة لها بلجنة تقييم لأنها تقيم نفسها دوما.

والحق أن الآفة لا تخص مدحت شلبي أو «مودرن» بشكل خاص، الآفة صارت مجتمعية إن لم نقف ونقل فيها على الأقل كلمة، نكن فقدنا حتى أضعف الإيمان. ولألخص وجهة نظري في نقاط محددة:

أولا: اقتصرت البرامج الرياضية في مصر على كرة القدم دون غيرها، ولا أحد ينكر شعبية اللعبة، ولكن الإعلام قادر على تجييش الاهتمام بألعاب أخرى إن سلط عليها الضوء، ولكنه إعلام منساق أقرب للإعلان منه للإعلام.

ثانيا: شتان بين لاعب كرة ماهر أو مدرب عظيم في الملاعب أو معلق على اللعبة يعرف أصولها، وبين إعلامي يعرف أصول المهنة، ولكننا خلطنا الأوراق حين أضفنا للاعبين عقولهم تكمن في أقدامهم صفة الإعلاميين، وصاروا يجلسون بالساعات أمام الجماهير يخرجون إحباطات تاريخهم علينا في صور مختلفة.. ومن الغريب والمثير أن برامجهم جميعا تأتي في الليل وآخره، حين تهدأ المدينة ويجلس الناس أمام الشاشات إما في بيوتهم أو على المقاهي. ويتصدر المشهد مجموعة كباتن «جمع كابتن» تفتي في كل شيء حتى السياسة، ويتناطحون فيما بينهم للفوز بالكعكة الإعلانية بأي صورة، وكلها صور هزلية حتى كان آخرها نكتة جنسية.

ثالثا: أغلب مشاهدي هذه البرامج هم من البسطاء أو المحبطين من الشباب بسبب البطالة، أو عدم القدرة على الزواج أو غيرها من الهموم، وبالتالي فهم الأكثر تأثرا بفجاجة هذه البرامج، وهم أيضا الأكثر تأثيرا في فجاجة عامة في المجتمع.

رابعا: في مصر هناك ظاهرة متميزة في السوء يلخصها المثل الشعبي الذي يقول «كلما زاد الشيء على حدِّه انقلب إلى ضده»، وتحت هذا العنوان زادت مظاهر الدين وقنواته وقنوات الرياضة ورجالها، وما زادتنا الأولى تقوى وحسّنت حياتنا، وما أضافت الثانية صحة أو أخلاقا ترتبط بكلمات الرياضة، وبالتالي ينتفي الغرض من الاثنتين، بل صـ

إثمهما أكبر كثيرا من أسباب وجودهما

خامسا: حتى تاريخ ليس ببعيد كان للذوق المصري الذي تندرج تحته صفات عديدة مثل الذوق في الملبس والمأكل والشكل والأخلاق والفن، كان هذا الذوق رفيعا، وكانت الأمم العربية تتمثل بنا، ولكن للأسف انحسر كل ذلك، فصارت أذواقنا فجة في الملبس والمأكل والحديث والفن حتى أصبحت «زهرة وأزواجها الخمسة» بفجاجتها وملابسها وأدائها نموذجا للنساء، وصار أباطرة قنوات الدين في تجهمهم وتعصبهم نموذجاً، وأباطرة قنوات الرياضة بصوتهم العالي وأخلاق الملاعب وبذاءة أصابعهم وألسنتهم نموذجا للشباب. هل لا يذكر أحد أن مدحت شلبي نفسه منذ فترة وعلى الهواء مباشرة بعد مباراة مصر مع الجزائر أدى بيده حركة لها معنى قبيح، ولم يتوقف أمامه أحد ليقول عيب!

أخيرا: قد يقول قائل. أفسدتِ علينا حياتنا وجعلتِ الكل باطلا.. فما الحل؟ وعفوا لا أملك الإجابة القاطعة بحل سحري يعيد للمجتمع المصري سلامه وذوقه وأخلاقه، ولكنني أطالب بديكتاتورية عادلة مع المخطئ، وديكتاتورية أزمة الحرب، فالسارق يُقتل والمخطئ في الإعلام يُفصل. فنحن في زمن حرب مع القبح و«الإباحة» والتطرف.. فلا يكفي عقاب مثل توجيه اللوم أو الإنذار، فهذه عقوبات لينة تصلح في أزمنة هادئة، ولكنها لا تصلح في زمن الحرب.

وعلى عكس كثير من الدول نحن مازلنا في دولة مركزية، بها وزارة إعلام وعلى رأسها وزير إعلام، والدولة هي التي تملك حق الإشارة والبث التليفزيوني. وعلى وزير الإعلام أن يعلم أنه كما هو مكلف من قِبل الحكومة والدولة بمنع ما يتجاوز عن سياساتها، فهو أيضا مُكلف من قِبل بعض الشعب الذي لم يفسد بعد، بأن ينقذه من فساد الإعلام الرياضي، وفجاجة كباتن الكرة.

وعود على بدء، فالبعض اتهم فيلم «٦٧٨» بالتعرض لسمعة مصر لأنه يناقش برقي ظاهرة التحرش الجنسي، فما بالهم أمسكوا بفيلم ونسوا القنوات الرياضية ورجال إعلامها الدين يسيئون لأم مصر ليل نهار، وعلى عينك يا تاجر.

ولا فرق بين «أبو ليمونة» كما في الفيلم، وأباطرة الإعلام الرياضية و«مساء الأنوار».

جريدة اليوم السابع – ديسمبر ٢٠١٠

obeikan.com

أنا بحب تسيخ الأزهر

في خضم أحداث جسام تمر بها الأمة وحزن وقهر عام ونظرات خوف وترقب من مستقبل قريب لا يبدو مضيئاً يشعر به القاصي والداني.. في خضم كل ذلك وأكثر، وفي خضم زخم إعلامي يتحدث بصوت مرتفع لا يبدو هناك فارق كبير بين محطة تليفزيونية وأخرى، فالكل يتحدث في موضوع واحد وحادث واحد وهم واحد وحزن واحد، لا فرق كبيرا بين كلام الضيوف في برنامج عن آخر أو لقاء عن آخر، الكل يتحدث ويفتي ويحلل ويشجب ويغضب، الوجوه المعارضة تستغل معارضتها، والوجوه الحكومية تدافع عن رسميتها وتتمسك بحكومتها.

في خضم كل ذلك يظهر وجه على الشاشة يبعث بصيص نور في ظلام حالك، وجه شيخ بشوش بلا لحية يستحق أخيراً لقب الإمام، فعلى شاشة «دريم» التقت منى الشاذلي بالدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر بعد أحداث حزينة لطرفي الأمة، وأعترف أني كمواطنة منذ أن تفتحت عيناي على الدنيا لم تكن كلمة الأزهر تعني لي إلا منطقة مزدحمة تواجه منطقة الحسين تقبع فيها القاهرة القديمة الفاطمية وتشع منها رائحة التوابل.. هذا كان معنى ومفهوم كلمة الأزهر عندي، أما فيما يخص تاريخ الكلمة فقد كان لها عندي معان أخرى، فالأزهر في كتب التاريخ كان منارة ومسقط رأس كثير من المواهب الأدبية والسياسية، ومنبع ثورات شعبية، ولكن كل ذلك مرتبط بالتاريخ الذي لم أره أو أعرفه وبالتالي تظل كلمة الأزهر عندي مرادفة لمنطقة قديمة في المدينة التي أسكنها. وأعترف أن كل ما كان ينتجه الأزهر من أخبار ترتبط به وشخوص يقدمون أنفسهم كنتاج له لم تكن مرضية لي بشكل عام أو مؤثرة في صغيرة أو كبيرة اللهم إلا في الأغلب تأثير سلبي.

ولن أزعم أني كنت قد شاهدت الدكتور أحمد الطيب كنتاج لمؤسسة الأزهر إلا من المنطلق الذي شرحته، وبالتالي فكنت فيما سبق أمر على ظهوره التليفزيوني مرور الكرام ولا أتوقف بالريموت أمامه، وإمعانا في الاعتراف فمنذ أن تولى الدكتور مشيخة الأزهر لم أهتم بمتابعته لأن الصورة النمطية في عقلي لمشايخ الأزهر تلح عليّ فأغير المحطة.

ولكن حين ظهر الإمام في برنامج «العاشرة» منذ أيام دفعتني الظروف التي نمر بها إلى أن أجلس لأسمع الرجل، فالموقف يحتم عليّ أن أعرف ماذا سيقول من يقولون إنه إمام للمسلمين وأنا منهم، خاصة بعد موقف مؤسف تعرض له من شباب غاضب في صحن الكنيسة، جلست ويدي على قلبي خوفاً مما سيقول رجل الأزهر.. فهل سيقول كلاما كأغانينا التي تفقد معناها في هذا الظرف أم سيزيد الأمر سوءاً.. فإذ بي أجدني أمام رجل حكيم رائع يجمل صفة الدين دين الله الذي أنزله من فوق سبع سماوات ليحسن حياة البشر، رأيت شيخاً يحمل حكمة نفتقدها في زمن مجنون، يقول إن بناء جامع أمام الكنيسة يؤذي أصحابها فلا يجب أن نفعل، رأيت وسمعت رجلاً وإماماً يقول بكلمات الله إن من واجب المسلم أن يحافظ على الكنيسة والمعبد لأنها بيوت يذكر فيها اسم الله، رأيت وسمعت إماماً يقول إن الشباب الغاضب الذي وجه له ما يشبه الإهانة محق في حزنه وإنهم في مكانة أبنائه فلا عتب عليهم، رأيت وسمعت شيخاً يستنكر أن يحُرم المسيحي من بناء كنيسة. رأيت وسمعت أخيراً ما كنت أقرؤه في كتب التاريخ عن أئمة الأزهر، وأعترف أني شعرت لأول مرة بفخر الانتماء لإمام الأزهر وفخر انتمائه لي.. فقد أحببت واحترمت سماحته وهدوءه وحكمته، والأهم قيمة تمثيله لدين سماوي عظيم.

وفي نفق مظلم دامس بدا لي الإمام الجليل كطاقة نور علنا نهتدي بها، ويهتدي بها أكثر الشيوخ الذين يتكلمون باسم الدين وما هم منه وما هو منهم.

أيها الإمام.. أنا أحبك، لأنك جدير بأن تحبك مواطنة تحب بلادها وتخاف عليها، ولا حيلة لها إلا أن تجد من هم مثلك لتقوى بهم، وأعيد عليكم الكلمة والمعنى فأنا مواطنة مصرية أحببت واحترمت الإمام لأني مصرية وليس لأني مسلمة، فمصر الآن ومن قبل تحتاج الحكمة والتسامح والعلم والفهم، والإمام في حديثه على قناة «دريم» مع منى الشاذلي كان نموذجاً لكل ذلك بلا ادعاء ولا نفاق.

جريدة اليوم السابع – ١١ يناير ٢٠١١

تائه بين السماء والأرض

ما تمر به الأمة العربية الآن من موجات تشبه موجات تسونامي من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب حالة ربما تدفع عشرات بل مئات المحللين والكتاب والمنظرين إلى كتابة عشرات المقالات والتحليلات، حتى هؤلاء الذين يجلسون على المقاهي وكانوا قديماً يطلقون عليهم حكماء ريش نسبة إلى مقهى ريش الشهير حتى هؤلاء سيطلقون الأحكام ويحللون الظروف ويتنبأون بما سوف يكون استناداً على ما كان.

فالعراق في عراك من أجل الذهب الأسود والنخيل.. ولبنان بقعة صغيرة ولكنها سلاح إثبات قوة لصالح قوة إقليمية على السيادة، وسوريا تائهة تبحث عن هوية بين لقب الجهاد أو الخضوع، والأردن يصرخ فيه الناس ويرد عليهم أهل الجزائر التائهون بين الضاد العربية وحلم الوصل بالأم الفرنسية المتحررة.

والسودان ما عاد البلد الشقيق الواحد الذي يربطه الحبل السري بمصر، وتونس تخوض حرب التحرير الثانية، ويركب موجتها قطاع الطرق واللصوص، والثورة التي قام بها المطحونون يكسب قوتها عادة النهابون، ومصر لها الله فيما هي فيه من فساد وغياب عدالة اجتماعية وتطرف ضرب عناصر تكوينها.

خلاصة الحديث.. وبغض النظر عن أهمية تحليل كل ما سبق أجدني مدفوعة كإنسانة محبة للفن والسينما بأن أنظر للمشهد العربي من زاوية درامية بحتة، فما أعظم الدراما الحياتية العربية وما أكثرها ثراء لصناع الفن، لكنهم قليلاً ما يستغلونها، واسمحوا لي رغم أني لست من صناع الفن السينمائي أن أرصد لكم مشهداً سينمائياً أحلم بأن يقدمه لنا يوماً

أي فيلم سينمائي، مشهد قد يتكرر بين عدة وجوه لنجوم السياسة والحكم.

المشهد الأول

ليل خارجي: لحظة الغروب في مطار تونس الدولي.. طائرة رئاسية تحمل من كان بالأمس المال والسلطة ملك يمينه، وتتحرك الطائرة ببطء على أرض المطار ثم تطير في السماء باحثة عن أرض، أي أرض تستقبلها فلا تجد.

ليل داخلي: من داخل الطائرة الرئاسية.. الطيار يتصل بعدة أبراج مراقبة في دول مختلفة والإجابة لا تهبط لن نسمح لك، ثم يبلغ قائد الطائرة أحد مطارات إيطاليا أنه مضطر للهبوط من أجل التزود بالوقود فتوافق روما على مضض، وبالفعل تهبط الطائرة ثم نراها تسرع بالإقلاع.

المشهد لن يعرض لنا صورة ركاب الطائرة فقط، صورة قائدها وهو يحدثهم، فصورة ركابها اختفت من على الشاشة، لأنهم طالما كانوا في صدر المشهد والآن هم مجرد أشباح تبحث عن مكان يأويهم بعد أن كانت كل أرضي هي ملك لهم.

يستمر الليل الداخلي في غرفة قيادة الطائرة لنسمع صوت مساعد الطيار يقرأ في كتاب الله.. بسم الله الرحمن الرحيم «ذق إنك أنت العزيز الكريم»، وحين يسأله قائد الطائرة عن الآية التي يقرأها يرد بأنها الآية التي تحكي للبشر اللحظة التي سيلتقي فيها الظالمون الطغاة بالعذاب، فيقول لهم خزنة النار ذوقوا من العذاب يا من كنتم طغاة بعزتكم في الأرض.

يقطع حديث قائد الطائرة ومساعدة صوت يأتي عبر اللاسلكي معلناً أن بلاد الحرمين دون غيرها من بلاد الدنيا هي الوحيدة التي قبلت أن تحط فيها الطائرة بركابها الهاربين من الجحيم.. قطع.

المشهد الثاني

البرازيل بلاد السامبا نهار خارجي ملايين من الكتل البشرية تقف حاملة شموع وصور لرجل في الستين وإن بدا أصغر وتصرخ الجماهير لولا لولا لولا، تتحرك الكاميرا في اتجاه منصة مقابلة للجماهير يقف عليها صاحب الصور وإلى جواره سيدة الرجل هو لولا دي سيلفيا الرئيس البرازيلي الذي انتهت ولايته وهو يسلم مساعدته مقاليد الحكم،

الرجل الذي خرج من رحم الطبقة المقهورة العاملة الفقيرة في البرازيل، واستطاع كرئيس للبلاد في سنوات قليلة أن ينقل بلاده من دولة مُشهرة الإفلاس مقهورة، إلى دولة صاعدة فتية، والأهم حين يقرر رغم نجاحه أن يترك الحكم باختياره لمساعدته.

نهار خارجي: وجه لولادي سيلفيا في كادر كبير على الشاشة ودموعه تسقط كلما سمع صوت الجماهير يناديه فيعود بذاكرته لأيام كان هو وبلاده معاً مقهورين وفقراء، ثم يلقي بالورود على الناس فتسقط.

ليل خارجي: وكما تنزل الورود على الناس في البرازيل تنزل وثائق ويكيليكس على الناس في تونس والوطن العربي مكتوب على أحد عناوينها التعاون بين زين العابدين وإسرائيل أقوى ما يكون، ووثائق أخرى تشير على تورط الحكام العرب في فضائح سياسية ومالية.

النهاية: طائرة رئاسية في السماء تائهة في الغيوم وجماهير هادرة تنادي لولا دي سيلفيا وأخرى تحمل لافتات قطع إرحل.

النهاية أو ربما البداية

ملحوظة ما بعد الختام: لا أفهم كيف يعيد الطغاة كتابة تاريخهم دون أن يقرأوا تاريخ من قبلهم ليتعلموا أن النهاية دائماً تكون قريبة، فإن لم تأت من القدر فإنها تأتي على يد الغاضبين الذين صبروا طويلاً، ويالها من نهاية تائهة بين السماء والأرض يتردد معها صوت جهوري يقول: بسم الله الرحمن الرحيم «ذق إنك أنت العزيز الكريم» صدق الله العظيم..

جريدة اليوم السابع - ١٩ يناير ٢٠١١.

أبطال من ورق

في حياة أي صحفي قصص عديدة تختزنها الذاكرة، وإن لم تنشر في حينها تعد شهادة مؤجلة لوقت لا يجب فيه أن تؤجل الشهادة، والآن يمر الوطن بمحنة إن لم تتكاتف فيه كل الجهود لا يعلم إلا الله ماذا سيحل بنا؟

وأما الحكاية، فهي قد حدثت منذ أكثر من عام حين كنت أجلس في الجريدة ودخلت زميلة شابة تحكي بصفاء نية عن لقائها المرتب مع الدكتور البرادعي، وقالت: إنها سألته عدداً من الأسئلة، وأن أخاه هو الذي كان يرد، وراحت تحكي كيف أن أخوات الدكتور البرادعي هن اللاتي يرتبن اللقاءات، وبدا لي أن الزميلة لم تكن تفطن لما تقوله، إلا من شكوى إنها لم تحصل على إجابات لأسئلتها، لأن أخو الدكتور البرادعي قال لها، إنه لا وقت لديه لوسائل الإعلام المصرية، وأنه في إطار إجاباته على الميديا العالمية سيجيب عن بعض أسئلتها، وبالتالي تستطيع هي أن تنقل ذلك عنه، وكانت تلك هي مشكلة الزميلة الصغيرة أنها تريد أن تأخذ من البرادعي الإجابات مباشرة.

أما أنا فكان همي أنني كنت حتى هذه اللحظة أحترم الرجل الذي عاد إلى بلاده بعد رحلة طويلة يطلب التغيير ويكرس قدراته الدولية من أجل الإضافة لبلاده، ولكني فوجئت بنموذج مختلف على أرض الواقع، فالرجل لم يكن من حقه بعد الترشح للرئاسة ولا يقود حزباً أي حزب، وهو بلا صلاحيات سلطوية، ورغم ذلك تظهر أسرته تحيط به وتتحدث باسمه للإعلام وتتعامل مع الصحافة المحلية بصلف وتكبر يا سلام، فماذا لو أصبح مرشحاً فعلياً؟ يا نهار أسود! هل تتحول أسرته إلى عائلة ملكية؟ واعتبرت أن تلك

ما يصدق عليها القول أول القصيدة كفر.

وبقت حكاية البرادعي الصامت وإخوته أو أسرته المالكة المتحدثين باسمه في ذاكرتي إلى أن قرأت خبر عودته الميمونة وتصريحاته بأنه عائد إلى أرض الوطن لكي يقود التغيير السياسي يا سلام سلم.. كيف يستطيع ذلك الرجل المتلعثم دوماً، اللعب على الأوتار المجروحة، أن يمتلك تلك الجرأة على أن يأتي ليقتنص أحلام الشباب، الذين يبدون كالورد في شوارع المحروسة، وليس البرادعي مناضل التويتر وحده هو الذي يبحث عن مكان في الصورة، فعديد ممن خرجوا يسيرون مع الشباب هم أبطال من ورق يبحثون عن دور وضوء، وليقل لي أحد أي أحد: من يكون رامي لكح حتى نراه يتصدر مشهد غضبة الشباب، أليس هذا هو الرجل الذي هرب سنين إلى باريس يجلس على مقاهيها وينفق أموال البنوك في شراء صحف ومقاهي، وللأسف لم يقف الأمر عند البرادعي أو رامي لكح، لكني رأيت وجوهاً أخرى تبدو كالأشواك في وسط الورود.

فإن كانت الأرض يرثها الأتقياء فيبدو لي أن ثورة الشباب في مصر من الممكن أن يرثها أبطال من ورق هم في الأصل أشواك في حياتنا.

ولا أجد خيراً من أغنية حمد الله ع السلامة.. يا جاي من السفر.. وحشانا الابتسامة.. وشك ولا القمر.. ليكتبها مستقبلو البرادعي على يافطات وهم في انتظاره على أبواب مطار القاهرة.

جريدة اليوم السابع - ٢٧ يناير ٢٠١١

الشارع لمين

«ذهبت السكرة وأتت الفكرة» مثال شعبي مصري يعبر عن حالة أطياف كثيرة سياسية في مصر الآن، فبعد أن ظلت كل أطياف المعارضة والمواءمة السياسية فاغرة فاها منذ الخامس والعشرين من هذا الشهر أمام اجتياح شعبي شبابي.. بدأت الآن تغلق فمها وتبلع ريقها في محاولة لإيجاد مكان لها على الخريطة المصرية التي لم تحدد بعد.

اجتمعت أمس كل أطياف المعارضة الشرعية أو ما كان يقال عنها معارضة شرعية، ترأسها سيد البدوي رئيس حزب الوفد والحزب الناصري وحزب التجمع وأقطاب أحزاب أخرى ليصدروا بيانا يتماشى مع شوارع مصر، وبينما هم مجتمعون يدخل عليهم أسامة الغزالي حرب الذي يمثل جبهة التغيير يطالبهم بالانضمام إلى بيان الجبهة الذي يقول: إن أطياف المعارضة وكلت البرادعي للحديث باسم مصر أمام الجهات الداخلية والخارجية، والمقصود بالداخل كما هو مفهوم الجيش والخارج هو أمريكا.

وترفض أحزاب المعارضة هذا البيان ويخرج أسامة الغزالي حرب بورقته المرفوضة ثم يخرج بعده بلحظات أقطاب الاجتماع ليعلنوا بيانهم الذي يطالب الرئيس بالرحيل لأنه فقد الشرعية ويعلنوا أسماء مقترحة لوزارة انتقالية مثل د. يحيى الجمل وآخرين لصياغة دستور جديد.ورغم أني كنت حاضرة لهذا المؤتمر فإنني فوجئت بالأخبار بعد لحظات تتلاحق على الفضائيات بأن المعارضة المصرية والشباب يفوض البرادعي وهم كاذبون ما فوضت المعارضة المترهلة ولا الشباب النضر البرادعي ولكن الكل الآن يريد أن يركب الموجة، الرجل الذي كان يحتمي بالتويتر ويجاهد عليه بكلمات مقضية، البرادعي الذي

ظل مختبئا منذ أن وصل من سويسرا إلى القاهرة ظهر ليلا أمس فقط في ميدان التحرير ليعلن بكلمات مقتضبه أنه موجود ولكن بمكبر صوت، الشوارع في مصر تشتعل بالشباب ولكن الكبار معارضة أو حكومة للأسف مازالوا يتعاملون بذات الصيغ القديمة التي ما عاد لها مكان على أرض الواقع.

مصر الآن لا تريد مبارك ولكنها أيضا بالتأكيد لا تريد مثل البرادعي الذي يحلم بالتفاوض باسم مصر، فهيهات، الشباب الآن وكأنه يغني أغنية فيلم الابن الضال: الشارع لنا إحنا لوحدنا والناس التانيين دول مش مننا، وكم هم اللي مش مننا.

جريدة اليوم السابع - ٣١ يناير ٢٠١١

لا نريدها حربًا أهلية

بعد أن بدأت الثورة في مصر من ميدان التحرير عاقلة نظيفة شابة أطارت عقل رجالات الدولة وكل المحادين وصنعت بمصر ما لم تشهده منذ مولدها من سبعة آلاف سنة أو يزيد، بدأ النظام السياسي يستجمع قدرته وأساليبه القديمة في حشد مؤيديه المدفوعين الذين حملوا آخرين من الصامتين على الخروج لتصطدم فئات الشعب في شبه استعداد لمواجهات دامية.

حين كنت أسير في شوارع القاهرة منذ الثلاثاء الماضي وفي وسط المدينة أقسم أني لم أخف للحظة سواء كنت في طوفان من البشر أم وحيدة، فكل الوجوه كلها دون استثناء كانت تحوطني بالرعاية فهي كانت وجوهاً مصرية جميلة، أما اليوم ففي طريقي للجريدة وأنا أسير في الشوارع رأيت وجوهًا مخيفة مفزعة، فالشارع في القاهرة حتى أمس كانت تموج بالمؤمنين الذين تعلو وجوههم علامات الإيمان والصدق، أما اليوم فالوجوه تملؤها علامات البلطجة، الثورة أخرجت من مصر أجمل ما فيها والآن يخرج النظام أقبح ما في أحشاء مصر، نبرة غل أو حقد في الحديث عن الآخر، ولكن اليوم تبدلت النبرة والحديث.

حتى الأمس فقط كنت من هؤلاء الذين يحكمون العقل ويسيرون بمنطق السياسية التي تنادي ببعض المكاسب على الأرض مقابل مطالب أكثر، كنت أسير بين شباب ميدان التحرير أطالبهم بالرحيل، ولكن اليوم لا أستطيع إلا أن أطلب من مبارك الرحيل فهل لن يرحل إلا على جثة مصر وشبابها؟! وأردد نداءات شباب ميدان التحرير أنت تمشي مش هنمشي.

جريدة اليوم السابع - فبراير ٢٠١٠

هوامش على دفتر مواطنة تريد خروج آمن

توقفت عن الكتابة منذ يوم ٢ فبراير، فكان آخر مقال كتبته كصحفية محترفة بعنوان «لا نريدها حربا أهلية»، ففي ذلك اليوم لو تذكرون خرجت جماهير أغلبها مدفوع وبعضها برغبة خاصة مؤيدة لمبارك، مقابل ملايين غاضبة رافضة مبارك، ثم حدثت معركة طاحنة في ميدان التحرير عُرفت باسم «معركة الجمل والبغال».

ثم أخذتني الأحداث والأيام، ليس كصحفية، بل كمواطنة مصرية وأم لشاب قرر أن يكون بين الثوار، فقررت كأم أن أصحب ابني فيما هو ماضٍ إليه فإن مات مت معه، وإن عاد مهزوما أو منتصرا عدت كما عاد.

واليوم أعود للكتابة، ليس كصحفية محترفة، ولكن مجرد مواطنة تخط بيدها هوامش على دفتر أحوال حياتنا، ولهذا فلا عتاب على قلمي إن تحدث عن إعلام أو صحافة أو ناس، كنت كصحفية فيما سبق أكف قلمي عنهم، ولكني اليوم أستطيع لأني أكتب كمواطنة وأم، فلست منهم. أنا مجرد راصدة لمسرحية من عدة فصول حتى الآن ولكني لا أعرف خاتمتها، ولا أظن أن أحدا غيري يعرف.

الفصل الأول: المشهد الأول

مظاهرات يوم ٢٥ يناير، ثم تأتي الجمعة الحزينة يوم ٢٨ يناير نعيش وأعيش أحداثا جساما بدا لي رغم عنفوانها أنني أحيا في يوتوبيا أو مدينة فاضلة، برغم أني كنت أعيش في الشارع، وكم كنت أكره شوارع القاهرة قبل ذلك، ولكني في تلك اللحظات والأيام العصيبة كنت أحبها.

المشهد الثاني: « فجر يوم جديد »

يتنحى ويخرج الطاغية الغافل إلى غير رجعة، فأرقص وأضحك وأسعد كملايين الناس ونقضي ليلة العمر، ثم يأتي الصباح وكأنه فجر يوم جديد فأمشي في الشوارع أكاد أحتضن كل من وما فيها، مستنشقة هواء مختلفا، وأشعر كأن الصِّبا ما رحل.. والحلم بات واقعا وزمن واقعية الكوابيس قد رحل إلى غير رجعة.

الفصل الثاني: المشهد الأول

تتواتر الأحداث ولا معنى لأن أعيد على الجمهور تفاصيل ما حدث من وقائع يومية سياسية، تغييرات في الوزارات أو قبض على مسئولين سابقين، أو بيانات عسكرية أو غياب شرطة، فكل ما حدث يعرفه الجمهور، لكن أهم ما في الفصل الأول هو نهاية مرحلة الأحلام وزمن أيام المدينة الفاضلة، ويظهر قبح وجه القاهرة الهادرة بل تزداد قبحا، والفضل كل الفضل لأبنائها الذين ما إن انتهوا من القبض بيد من حديد على رقبة الطاغية حتى مدوا الأيدي نفسها الحديدية، ولكن على رقاب بعضهم البعض، فمسك الكل في تلابيب الكل، في خناقة لا متناهية ولا أحد فيها رابح، لأنها تسير على نفس قواعد اللعبة التاريخية القديمة صاحب الصوت العالي يكسب ولو حتى مؤقتاً، وما أدراكم ما أصحاب الصوت العالي الآن، فبئس ما يقولون وبئس أصواتهم، وفي المشهد الثاني بعض من ملامح هؤلاء.

المشهد الثاني

- ثبات في المنظر ولكن كل من على المسرح يخلع ملابسه ويبدلها أمام الجمهور مع اختفاء حمرة الخجل، حتي الجمهور نفسه صار يشارك في عملية تبديل الملابس والوجوه.

- كل الصحف فجأة تحولت إلى صحف صفراء بالغل، وحمراء مثل ليالي الدعارة، وسوداء كوجوه الكاذبين، الكل يكتب دون أدنى ضوابط مهنية أو أخلاقية، فمن يدعى اليوم من الصحفيين أن الفساد الذي يكتب عنه هو مفاجأة له، فهو إما كاذب أو في أفضل الأحوال صحفي خايب.

فكلنا وكلنا هنا أعني بها كل من كان لديه طرف من معلومة في المجتمع، كان يعرف أن الفساد يدب في أوصال الوطن حتى النخاع، أوليس من المفارقات الكوميدية أن زكريا

عزمي أحد أقطاب حكم مبارك قال في التسعينيات: «إن الفساد وصل للركب»، فإن كان هذا رأي الفاسدين المفسدين فماذا عن الراصدين أو الإعلاميين؟!

أما وإن كان هناك صحفي يكتب الآن عن الفساد متعجبا فهو ثانية إما كاذب أو خايب، وفي الحالتين ما بين الكذب والخيبة لا معنى الآن لأن تقرأ إلا من باب النميمة.. ولعجبي فإن حتى ما يُكتب عن الفساد للأسف كله دون مستندات وكلام مرسل، فيبدو أغلب الصحافة المطبوعة مثل كلامي المقاهي - أي مار أو عابر سبيل- يستطيع الكتابة في أي شيء وحول أي شيء.

وما سأرصده هو مجرد أمثلة من بعض الطوائف، فهل يُعقل أن أحدا ممن يكتبون عن الفساد مثلا في ماسبيرو هو ذاته كان متهما متلبسا بقضية زبي «أي رشوة» كاد على إثرها أن يتم رفته من صحيفته.

هل من المنطقي أن تُكتب عناوين في صحف على لسان مثلا الممثل عبده الوزير: «لولا الفساد لكنت نجما» والممثل أحمد عبد العزيز الذي نشروا قوله بأن نجوميته تأثرت بسبب الفساد.. ما هذا الهراء؟!

فتبدو لي الصحف وعناوينها وكأنها تهيص في الهيصة.

فكل الهراء الذي كان يحدث في الصحافة سابقا كوم، والآن هراء الصحافة كوم آخر كارثة.

المشهد الثالث.. ظهور خالتي فرنسا الفجرية

• والله هذا سؤال شديد البراءة من مواطنة شديدة البراءة: لماذا أكثر من ٩٠٪ من بلاغات الفساد التي يحقق فيها حالياً النائب العام مصدرها صحفي واحد، فهل كان يعلم كل هذا وأبقاه كأوراق ضغط على مسئولين في البلد لوقت عوزة أم أنه بعد ثورة ٢٥ يناير وجد فانوسي علاء وجمال الدين لكشف الفساد؟ والله سؤال بريء!!

من غرائب الحياة الآن في الصحافة أن الصحف تنشر اتهامات تطال رجال أعمال ومشروعات، ثم نفس هذه الصحف تنشر إعلانات مدفوعة للرجال أنفسهم وذات المشروعات تقول إن ما ينشر كذب وافتراء، وهو ما لا أفهمه فأنا كمواطنة أصدق من؟!

كنت فيما سبق أقول وأكتب في مواقف كثيرة بأن مبدأ الغجرية ست جيرانها صار في المجتمع المصري، ولكني الآن أستحيي خجلا مما كنت أقول، فإن كان ذلك يحدث سابقا في بعض الحالات، فإن مصر الآن كلها تحولت إلى حالة غجرية عامة، أو على الأصح كلنا تحولنا إلى خالتي فرنسا، وفي الطليعة الصحافة والإعلام التي جرت المجتمع كله إلى حالة ردح عامة، وللحق فإن الأعلى صوتا الآن في الردح هم الفاسدون سابقا ولاحقا

فلتنسوا أو لاّ تنسوا كل الأخبار التي تقرؤونها وإليكم خبرا واحدا نشرته الصحف يقول إن المخرج حسني صالح قرر أن يؤجل تصوير مسلسله القادم لأجل غير مسمى بسبب تهديده، لأنه قرر أن يعطي أدوارا لبعض الوجوه الجديدة، وحددها بالاسم، فإذا ببعض خريجي معهد المسرح يهددونه بالقتل والحرق لو لم يكونوا بين هذه الوجوه، لأن حقهم أن يعملوا، فحتى التمثيل والفوز بدور في مسلسل سيسير على مبدأ «خالتي فرنسا»، فبعد أن كنا نعاني من البلطجة في مواسم محددة صارت البلطجة قانونا والاعتصام شرفا والتهديد قوة، وصرنا جميعا «خالتي فرنسا».

المشهد الرابع «الجمهور عايز كده»

كانت عبارة «الجمهور عايز كده» هي دائما عبارة يستخدمها منتجو الأعمال الفنية الفاسدة لتمرير أعمالهم ولتبرير عدم قدرتهم على مواجهة فساد الذوق.

في زمن مضى كنت أقف لمثل هذه العبارة بالمرصاد حين كان حيز استخدامها الوسط الفني أو السينمائي، ولكني الآن لا أستطيع أن أواجهها فهي تقتلني لأني الآن أعيش في بلد كل ما فيه ومن فيه يرفع شعار «الجمهور عايز كده»، دون أن يتساءل بضمير حي: هل الجمهور على حق أم أنه يحتاج لبعض ثقافة حتى يعرف ما يريد أو يستطيع أن يفعل ما يريد؟

المشهد الخامس: «القوى الوطنية وسلم لي على البتنجان»

ما كفرت بوطني يوما حين كان يحكمه الطغاة، ولكنني الآن كفرت به حين يتحدث فيه أمام الكاميرات من يطلقون عليهم القوى الوطنية، فما أقبح هذه الكلمة! وما أقبح تلك الوجوه التي لا تستحي! فلكل منهم حكايات مثل ذاك الذي دفع بواحد لينتحل اسم ابنه ويؤدي بدلا منه الامتحان.. فهذ' من بين الرمور الوطنية.

فغريب أمر الناس سواء قوى وطنية أو غير وطنية، كرهوا الطاغية لأنه أراد أن يولي ابنه، وهم الآن من يتظاهرون ويصرخون مطالبين أماكن عملهم بتعيين أبنائهم.

الفصل الثالث: «التفاحة المعطوبة»

المشهد الأول

في زمن مضى قال الفيلسوف الروائي برناردشو: لو أن كلا منا لديه تفاحة وتبادلناها، لصار كل منا في نهاية المطاف لديه مجرد تفاحة، ولكن لو أن لدى كلٍّ منا فكرة وتبادلناها لصار لدى كل منا عديد من الأفكار.. واسمحوا لي أن أضيف على قول شو تساؤلا: فماذا لو أن كلا منا لديه تفاحةً ولكن معطوبة وتبادلها مع الآخر ألن يصير العطب لغة التبادل؟ وهو ما أظنه يحدث في الفصل الثالث.. فصل التعصب الديني والنوم على الأسفلت اعتراضا.

المصريون الآن في الفصل الثالث يتبادلون التفاح المعطوب.

أما أنا فأقسم أني ما عدت أريد أن أشاهد بقية المسرحية، ولا أن أرصدها وأحكيها، لأني أبحث عن تذكرة سفر بلا عودة، فابحثوا أو لا تبحثوا عن آخر يكملها لكم.

الختام.. أنا مجرد مواطنة مصرية لم تعد لدي رغبة في نقاش التعديلات الدستورية، ولا ترتيب انتخاب الرئيس قبل المجلس التشريعي أم بعده.. أو تحليل كلمة ثورة مضادة لأني ببساطة أبحث عن «رحيل آمن».

جريدة اليوم السابع – مارس ٢٠١١

سنوات في قلعة الخطيئة (١)

تنويه ضروري قبل البداية :

لم أختر أنا هذا العنوان، بل اختاره وحدده من يطلقون على أنفسهم ثوار ماسبيرو، فهم الذين أطلقوا هذا الاسم على المكان الذى عملوا ويعملون فيه لسنوات فإن كان أهل الدار يروون ذلك فلا يصح للغرباء عن المكان مثلى أن يجدوا له أسم مخالف.

هذه شهادة منى على مكان وزمان كان يُصنع فيه بعض من الإعلام الذى تقدمه الدولة للشعب المصرى، سأذكر بعض أسماء غائبة عن المشهد بما لها وما عليها ،وسأحجب أسماء ليس خوفا من أصحابها ولكن لأنهم أمثلة متكررة فى مبنى ماسبيرو كما فى أماكن كثيرة فى مصر.

البداية

كان مبنى التلفزيون بالنسبة لى كطفلة لا يعنى إلا مبنى طوبيل وفى نهايته خازووق ، على كل حال لم يكن إلا مبنى قابع على نيل مصر أصم قبيح الشكل وهو عكس إحساسى تماما تجاه جهاز التلفزيون القابع فى غرفة المعيشة فى منزلنا فقد كان له معنى آخر ، كان يمثل الدنيا وما فيها من عجائب، كان يمثل ماما نجوى وبقلظ وتوم وجيرى وبعد فترة صار يمثل ليالى الحلمية وليالى رمضان وعادل إمام وإسماعيل ياسين و كل نجوم السينما الذين اعشقهم وصوت محمود سلطان ونشرة أخبار الساعة التاسعة المقدسة لدى والدى أى أنه فى النهاية كان يمثل لى الحياة.

ومرت سنوات وظل جهاز التلفزيون عندى منفصل عن المبنى. وحتى بعد التحاقى بالدراسة فى كلية الإعلام ظل المكان بالنسبة لى مجهولا لأنى أحلم بالمطابع وصالات التحرير

وليس الاستوديوهات . والتحقت بقسم الصحافة وعملت صحفية تعشق الكلمة وترى فيها حياة أو موت . وتخصصت فى الكتابة عن السينما و الفنون التى اعشقها ودرست فنها . و كان كثير من الزملاء يعملون على أخبار ماسبيرو أو التلفزيون وكذلك يعملون فيه أحيانا فى الإعداد كما فى محطات أخرى بينما أنا أرى فى ذلك قلة قيمة ولا افهم ما أهمية خبر عن موظف يعمل فى قطاع مش عارف إيه. ولم تكن تثيرنى مثل هذه الأخبار قارئة أو صحفية بل كنت أشعر أن من يغطى أخبار ماسبيرو يبدو كمن يكتب عن قلم الأطفال أو قلم الغناء كما قال نور الدمرداش عنه فى فيلم «صغير على الحب» حين دخله باحثا عن سعاد حسنى.

وكثيرا ما عرض على أن أعد برامج أو أن أكون ضيفة فيه بعد أن كسبت سنين فى عمر مهنتى، ولم أكن أقبل فقد كان لى مرة أو اثنتين تجارب بائسة فى برامج يائسة دخلت فية مبنى ماسبيرو فوجدت مذيعة لا تعرف الموضوع الذى ستتحدث فيه إلا قبل دقائق من بداية اللقاء ، أما المعد للقاء سعيد بأن ضيفه صحفى فيعتمد عليه فى تحديد نقاط الحديث ،يعنى الخلاصة تجربتين او ثلاث تتسم بالكآبة و فقر الحال و الفكر ، ولم يكن المكان أيضا أفضل حالا من البشر..... فالاستوديوهات تعلوها الأتربة وتزينها الورود الصناعية الحقيرة .

وغاية الأمر أن ماسبيرو كمبنى وبشر لم يكن يعنى فى عقلى إلا حالة من حالات البؤس الحكومى الذى لم أنتمى يوما له.

و لأن الحياة تجود أحيانا ببعض الحظ فقد كنت جارة للناقد الكبير د.عبد القادر القط الذى جلست إليه طويلا و هو يشاهد التلفزيون وينتقد على الهواء ما يُعرض أمامنا من مادة ومن أداء بائس وهو رحمه الله كان صاحب قلم ولسان لاذع على قدر دماثة خلقه، وكان ذلك كفيل بأن يؤكد لى دون شك أن ما يُعرف بالتلفزيون المصرى وما يمكن أن يكتب عنه ليس إلا مسخرة . ومرت سنوات وبدأت عيونى وعيون الناس تتفتح على إعلام خاص وفضائيات قادمة من مختلف بقاع الأرض، لتؤكد لنا أن ليس كل ما هو مرتبط بالفن التلفزيونى يعنى الفقر بل على العكس كثير منه يحتاج إلى جهد و فن يصل أحيانا إلى فن السينما. وبدت كلمة الريادة التى عشنا نسمعها ونقرؤها سنين على ألسنة المسؤولين عن التلفزيون تبدو مثيرة للسخرية.فحتى نشرة أخبار التاسعة ما عادت تغرى أبى بالمتابعة وصارت نشرات محطات عربية مثل أم بى سى وغيرها هى التى تتصدر المشهد الإخبارى.

و جاءت حرب الخليج الأولى لتعلن سيادة الإعلام الأمريكي على العقل العربى ممثل فى قناة السى إن إن، ثم تأتى حرب الخليج الثانية لتعلن سيادة قطر الإعلامية عبر قناة الجزيرة ،ونحن فى مصر فى سبات عميق نحلم بالسيادة والريادة فى إعلام كسيح لا يشاهده حتى الفلاحين فى النجوع، فالشعب يبحث عن الحقيقة والمعلومات عبر الفضاء وأهل ماسبيرو لا يكلمون إلا أنفسهم

و لم يكن التراجع فقط على مستوى الأخبار ولكن التراجع أيضا صار سمة حتى البرامج الترفيهية أو كما يقال عنها برامج المنوعات وما كان هناك ما يمكن متابعته أحيانا على شاشة التلفزيون المصرى إلا المسلسلات المصرية التى تستهوى بعض ربات البيوت من السابعة والربع. غاب الإعلام المصرى الرسمى عن العقل المصرى واحتله إعلام آخر من الشرق والغرب. وكانت دائما مذيعات التلفزيون ومذيعيه عُرضة لكل نكات وسخرية المجتمع وبرامجه وأفكارها موضع كل انتقاد .ولم يسلم من هذا الانتقاد إلا عدد قليل من البرامج التى كان يضطلع بتقديمها عادة وجوه ومعدين من خارج مبنى ماسبيرو، حتى لو لم تحظ بإعجاب الجميع ولكنها تظل الأفضل و الأكثر تميزا فى مكان فقير سائس مظهراً و جوهراً مثل حديث المدينة لمفيد فوزى سواء أحببناه ام كرهناه، أو حتى برنامج ككلام من ذهب لطارق علام رغم إختلافى معه، أو برنامج مع الناس للورا خرسا والذى كان يعد أول برنامج توك شو ينقل ما فى مصر من شرقها إلى غربها الى الشاشة بصورة مختلفة .

المهم ظل المبنى بشكله الذى يشبه مبانى أوروبا الشرقية الشيوعية الخالية من أى جمال معمارى بالنسبة لى يشبه محتواة القابع فى غرفة الجلوس بمنزلنا و لم يبق منه لدى إلا ذكريات صاحبت الطفولة

الفصل الأول:

عرفت المهندس أسامة الشيخ اسماً شهيراً و صانعاً للعديد من نجاحات الإعلام الخاص وقنوات مثل (الإيه آر تى - و دريم - و قناة الرأى الكويتية)، وغيرها الكثير وإن لم تكن المعرفة شخصية، ثم حدثت للرجل حادثة أقعدته لفترة وترك العمل وكعادة الحياة والبشر تدير ظهرها للبشر حين يفقدون السلطة ، وكان ذلك حال المهندس أسامة الشيخ حين تعرفت عليه رجل بلا سلطة أو سلطان ولكن جمعنا حب الصحافة أنا كاتبة

وهو قارئ نهم للصحف و مثقف كبير وصاحب خبرة كبيرة فى الحياة ،والاهم انه كان معارضاً رائعاً للنظام وصاحب مشاكل كبيرة معه ،فهو كان أول من فتح باب الظهور التلفزيونى لهيكل على قناة دريم وهو ما سبب مشاكل كبيرة فيما بعد للقناة ولأحمد بهجت صاحبها و حكايات كثيرة من الاصطدام بالسلطة والتى كانت لها دور بالتأكيد فى احترامى لأسامة الشيخ وتوثيق الصلة به فى حين لم يكن صاحب سلطة أو سلطان.

وبدون إنذار مسبق فوجئت بالصديق يخبرنى أن أنس الفقى وزير الإعلام آنذاك طلبه للعمل كرئيس لمجموعة القنوات المتخصصة التى لم نكن كمشاهدين نعرف عنها إلا سلمى الشماع وبرنامجها اسهر معانا، و أحيانا كان المشاهدون يعرفون سهير شلبى وهى تقدم برنامجاً يعاد عشرات المرات و هى ترتدى قلوب كثيرة و دمتم....

وتعجبت كيف يقبل الرجل العمل فى هذا المكان البائس بعد تجربة إعلامية حرة ثرية ولكنه أكد لى أنه اشترط ألا يكون أولا عضواً فى الحزب الوطنى بالتبعية لمنصبه، ثم أسرى إلىَّ أن مصر بحاجة لكل خبرات أبنائها وانه لن يبخل بخبرته الآن على بلاده. ومن الغريب أن يكون نفس هذا الشخص الآن قابع فى سجن طره ينتظر المحاكمة بتهمة إهدار المال العام..... على كلٍ، و حين تأكدت من موافقته قلت له إذاً أنت ستناسب الحكومة وستصبح صاحب منصب وبالتالى ستنقطع صلتى بك لأنك ستعمل فى المبنى ابو خازوق حسب تسميتى له فى حينه.

ولم أكن اعرف أو أتصور أنى سأضطر يوما لدخول نفس المكان وأن أُناسب الحكومة ولكن بلا سلطة أو سلطان.

جريدة اليوم السابع أبريل ٢٠١١

سنوات في قلعة الخطيئة (٢)

انتهينا فى الفصل الأول بأن أعلن لى أسامة الشيخ موافقته على قبول منصب رئيس القنوات المتخصصة التى تشمل باقة قنوات لم نكن نعرف، كمشاهدين، إلا القليل عنها، مثل المنوعات والدراما والثقافية والرياضة والمعلومات، وتعجبت أن يوافق الرجل على أن يتحمل مسؤولية محطات شبه ميتة وهو صاحب التجربة الإعلامية الثرية، إضافة لأنه سيخسر راتبا كبيرا من عمله فى مؤسسة إعلامية كويتية. قَبِل الرجل المنصب وغاب عنى لبعض الوقت، إلى أن فوجئت به يتصل بى ويطلبنى للمقابلة على وجه السرعة فى مكتبه بماسبيرو، وكانت أول مرة أدخل فيها مبنى ماسبيرو. كنت ذكرت أن استوديوهات ماسبيرو كانت أماكن بائسة، أما المكاتب فكانت أكثر بؤسا.

فى طريقى لمكتب أسامة الشيخ بالدور السابع من مبنى ماسبيرو لم أشعر أننى فى صرح إعلامى تم إنشاؤه فى الستينيات من القرن الماضى، ولكنه بدا ديوانًا من دواوين الحكومة فاجأنى أسامة الشيخ بطلب فكرة وشكل لبرنامج يعُرض على قناة الدراما فى رمضان كفاصل بين المسلسلات. تصورت أنه يقصد رمضان العام القادم لأن رمضان كان بعد ٦ أيام من لقائنا. أبديت له استحالة ذلك لقصر المدة وعدم استعدادى للدخول مع التليفزيون المصرى فى عمل، أصر وقال لى عبارة صارت موضع تندر لى فيما بعد وهى: علشان مصر.. لابد أن نقدم برنامجا يعيد المشاهد المصرى للتليفزيون بعد أن سرقته المحطات السعودية واللبنانية. كان الرجل جاداً لكنى جعلت كلمته نكتة أرددها كلما أعيتنى مصر. وأتساءل: أليس هناك من أحد يحب مصر غيرى؟!

استطاع أسامة الشيخ أن يحدد إقامتى فى التليفزيون منذ ذلك الحين من أجل المسلسلاتى، وجعلها قضية وطنية. كان الوقت المتاح ضيقاً ومعرفتى بالمكان والبشر معدومة، طلبت أن أشاهد شرائط للمذيعات المتاحات، واخترنا مجموعة على كل حال. واستجاب أسامة الشيخ لطلبى فى أن نحضر لهن ستايليست وكوافير من خارج المبنى، لأن مظهر المذيعة وخاصة فى برامج المنوعات مهم جداً، وأغلب مذيعات التليفزيون لدينا يفتقرن إلى حسن المظهر، إما بسبب فقر الحال، أو الذوق، أو عادة الاثنين معاً. وطبعا كان البدايات صعبة، فالفنانون المصريون خاصة النجوم فى خصام مع التليفزيون، والقنوات الأخرى تدفع لهم بالدولار لتستضيفهم خاصة فى رمضان، ولكنى تعلمت من أسامة الشيخ أن لكلمة علشان خاطر مصر مفعول السحر معى، وأيضاً مع فنانى مصر الذين لم يرفض أحدهم الدعوة للظهور على التليفزيون المصرى دون مقابل، إضافة لأن المذيعات اللاتى كن ممتنات للظهور فى برنامج جيد إلى حد ما وأصبح له مشاهدة، بعد أيام تصورن أنهن نجمات، وصار التقاتل والمشاكل بينهم على أشده، ورغم أنى امرأة إلا أنى أدرك جيداً أن أشرس خصومة هى خصومة النساء. فما بالكم لو كن مذيعات فى التليفزيون المصرى؟. ولكن المشكلة الأكبر تمثلت فى أن وجودى فى البرنامج صار يعنى انتقادا لبعض الفنانين حول أدوارهم الرمضانية فكنت أنقل بشكل يومى آراء الجمهور السلبية بعيداً عن مجاملات المذيعات وإن كان أغلبهم تقبلها، إلا نادية الجندى التى شكتنى لأنس الفقى الذى لم أكن التقيته من قبل وأسامة الشيخ، ورفضت الظهور فى البرنامج إلا فى حضور زميلة أخرى صحفية تضمن رقتها معها بدلا من انتقادها مثلما كنت أفعل.

المسلسلاتى، وصحفيو التليفزيون

البرنامج استطاع أن يحصل على مشاهدة دفعت بقناة الدراما التى كانت مجهولة لدى المشاهدين وتنتج ٤٥ برنامجا، إى والله، ولم يكن أحد يعرفها، استطاعت ببرنامج واحد مدته ١٥ دقيقة وفكرة بسيطة أن تنقل القناة نقلة نوعية، فأصحاب القرار فى التليفزيون المصرى عادة ما ينظرون للشاشة على أنها بحاجة إلى تعبئة شرائط ووقت وليس فكر حتى على بساطته قد يجذب المشاهد، ولهذا لم تكن نادية الجندى والمذيعات ومشاكلهن العقيمة هن فقط المشكلة ولكنى اكتشفت أن هذا البرنامج خلق حالة هجوم من بعض الزملاء

الصحفيين الذين يغطون أخبار التليفزيون ولم أكن أعرفهم بشكل شخصي، قال إيه.. علشان هذا البرنامج قطع عيشهم لأن بعضهم كانوا يُعد خمسة وعشرة برامج أحيانا على طريقة «عبى شريط ودمتم».. وكونهم ينقلون أخبار المبنى للصحف كان يسمح لهم باعتبارهم مراكز قوى، وللأسف كثير منهم له ثمن يتراوح من ساندويتش أو وجبة فى كافيتريا التاسع إلى برنامج أو أشياء أخرى!!! ونَجُمَ عن هذه العلاقة غير السوية نظرة فيها كثير من الكراهيّة وعدم الاحترام للصحافة والصحفيين داخل مبنى ماسبيرو وفى ذات الوقت يحتاجون لهم من أجل ضربات تحت الحزام بين الزملاء وبعضهم فى التليفزيون.

أخلاق الزحام تجتاح ماسبيرو

والغريب أننى اكتشفت منذ أن دخلت ذلك المبنى أن ما بين الاهتمام بما تنقله الصحافة عن أهل المبنى والتشاحن الذى يحصل على ماذا من درجة أو مرتب، لا يُبقى لأهل المكان مجهودا للحديث فى تجويد العمل أو إضافة الفكر. ولكى لا اتهم بالظلم أو التعميم لكل قاعدة استثناء، وفى ماسبيرو هناك استثناءات بالتأكيد، ولكنها تائهة بفعل أخلاق الزحام التى تجتاح المكان.. ففى مبنى قوامه أكثر من ٤٠ ألف موظف ويمكن أن يديره ألف شخص، يصعب أن تتحدث عن جودة أو ابتكار. وفى بلد لم يتعلم أهله لغة العمل الجماعى حتى فى الإعلام يصعب أن تجد عملاً جيداً إلا بشق الأنفس، وعادة ما ينتهى بتقاتل القائمين عليه ليثبت كل منهم أنه صاحب النجاح منفرداً وينسى مشاركة آخرين له، وإن كان ذاك سمة غالبة فى مصر، فإنها السمة الوحيدة فى التليفزيون المصرى الذى يمثل كل سلبيات البلد والمرحلة.

وإضافة إلى أخلاق الزحام والفردية هناك أخلاق التدمير، فعادة كل برنامج يعمل فيه مئات دون داع إلا أكل العيش وهؤلاء يتفننون فى تعطيل العمل أى عمل إما لنقص فى الموهبة المطلوبة أو ليأس من التواجد.

انتهى شهر رمضان، وكان يجب أن ينتهى المسلسلاتى، طلب أسامة الشيخ منى الاستمرار ورفضت، لأن طبيعته تصلح لرمضان أو على الأكثر حلقة أسبوعية وليس يومية. كان الرد وماذا أفعل مع العاملين؟، لابد أن أجد لهم برنامجا يوميا لزيادة دخلهم!!!

- فأيقنت أن كثيراً من قرارات بعض المسؤولين داخل المبنى ترتبط باعتبارات كثيرة آخرها قيمة ما يقدم. اعتذرت ورغم ذلك استمر البرنامج من أجل العاملين. ومات على الشاشة وصار علامة لسوء السمعة بين البرامج على اختلاف معديه والمسؤولين عنه ولم يفكر أحد فى أن يدفن الجثة ويقول وحدووه.. بقوا يأكلون «عيش» على الجثة التى كنت يوماً واحدة من شهود ميلادها. ومازال المسلسلاتى مستمراً حتى الآن والحاجة أكبر لاستمراره بعد الثورة ليس لدوره الرائع فى الوعى، ولكن لأن بعضاً من العاملين فيه وجوه تقف فى بهو المبنى ثائرة، فأتعجب ألا يرون عيبا فيما يفعلون على الشاشة وأن أولى بهم أن يثورا على ما يقدمون.. ولكن يبدو أن أسهل على بعض ثوار ماسبيرو الكلام عن فساد عام من معالجة فساد يخصهم والمسلسلاتى خير مثال.

حنان شومان

سنوات في قلعة الخطيئة (٣)

خلق الله الإنسان مزيجاً من الفجور والتقوى ولكنه ما خلقه فرعونا متجبراً، ولكن البشر هم من يخلقون الفراعنة، فأبحث فى التاريخ ماضيه وحاضرة عن أى فرعون ستجده صناعة المحيطين به. ومبنى ماسيرو للحق كما شاهدت من أبرع الأماكن فى صناعة الفراعين،فيكفى أن تكون رئيسا ،أى رئيس،لتثق انه سيتم نفاقك دون حدود وأنك لا يأتيك الباطل من أمامك أو خلفك ولكن عليك أيضا أن تثق فى أن الخصومة فى ذات معقل النفاق تكون خصومة طاحنة.

وعلية فإن النفاق أو الخصومة فى ماسبيرو لا وسطية فيها،هذا كما قلت لو أنك مجرد رئيس فما بالك لو كنت وزيراً أو رئيس قطاع إنسى.....لأنك يا ريس ستكون صاحب الحكمة والقول السديد والرأى الرشيد. وفى مبنى ماسبيرو لا يستطيع إلا الملائكة مقاومة هذه الفتنة، وبما أن الملائكة لا يسكنون الأرض ومبنى ماسبيرو إختار له سكانه أسم قلعة الخطيئة فإنه أيضا من الصعب أن تحاكم فراعينه دون أن تحاكم من صنعوهم على كثرتهم. هذا هو العدل الذى سيفرضه الله يوم الحساب ولكنه مفقود على الأرض ،فهل هناك أحد فى ماسبيرو يحاكم نفسه الآن لأنه ساهم على مدى سنوات فى خلق فراعين يرجمونهم الآن؟؟؟؟؟ كنت قبل سنوات من دخولى المبنى أسمع والله أعلم أن أكثر خطايا ماسبيرو كانت خطايا أخلاقية ولكنى أشهد أن أكثر الخطايا التى شاهدتها كانت من النوع الذى أشرت إليه من صناعة الفراعين.

***

فصل جديد

كنت أتصور أن بخروجي فى نهاية شهر رمضان عام ٢٠٠٧ من ماسبيرو بعد انتهاء برنامج المسلسلاتى بالنسبة لى، لن أعود له ثانيةً ولكن كان القدر يكتب لى مساراً أخر فى عودة ثانية ظلت لسنوات أخرى، وكأن مقدر لى أن ارتبط بالمكان لأرى فيه نهاية عصر و بداية عصر آخر.وفى خلال هذه المدة لم أكن قابلت وزير الإعلام أنس الفقى آنذاك رغم أن لا شيء يتم فى المبنى وليس هناك من جملة مفيدة تقال إلا ويكون فيها أسم الوزير.... فكل مسئول يصدر قرار أو يقول جملة ينهيها بأنه أمر الوزير وكل موظف كبر أو صغر يفعل شيئا يذيل فعله وقوله بأنه حسب اتفاقه مع الوزير....لم أكن أشاهد أو قابلت الوزير ولكنه كاسم كان يحيط بى من كل جانب وإن أكدت لى الأيام أن الكثير ممن كان لاسم الوزير فى كل ممن كان يردد أسم الوزير ليبرر أعماله كان كاذبا،ليس لان الوزير كان ملاكاً أو غافلاً ولكن لان الوزير كان مهموما فقط بتهيئة مناخ يبدو جراً من أجل تمهيد التربة لعصر شباب لجنة السياسات. مبنى ماسبيرو كما سبق وذكرت مثال حى قائم لكل سلبيات الناس فى مصر وخطاياهم فى إفساد المسئولين. ولدى تجربة خاصة مع أنس الفقى قبل أن ألقاه حين أتى رمضان عام ٢٠٠٨ واتفقت على أن أعد برنامج الكمين على قناة نايل لايف ،وفى أعراف التلفزيون يتم إرسال أسماء الضيوف المقترحة إلى الوزير لإجازتها مما سبب لى ضيق شديد وإحساس بالرقابة المبكرة على عمل لم يتم،ولكنى على كل حال أرسلت قائمة بالضيوف لمكتبه الذى رد على برفض مجموعة من أسماء الضيوف للأسباب سياسية، وحين اتصل بى مدير مكتب الوزير لإبلاغي أصررت على قائمة ضيوفى وإلا سأعتذر عن البرنامج وأوضحت وجهة نظرى بإصرار وبالفعل عادت الإجابة بالموافقة على أى ضيف أقترحه لدرجة أن مدير مكتبه قال لى مش ناقص يا أستاذة غير استضافة أيمن نور فضحكت وقلت والله فكرة فرد يبدو إنك عايزة لينا خراب البيوت!!!! إذا كلمة «لا» فى وجه الحاكم أى حاكم تعتمد على صاحب حق مصرٌ على حقه، وأزعم ان طوال عملى فى ماسبيرو لم يقهرنى حاكم ولكن قهرنى وعذبنى ضعف المواهب وقلة ضمير كثير من الفنيين مثل مخرجين ما هم بمخرجين وبعض مصورات ومصورين ينامون خلف الكاميرات ونوعيات ممن يعملون بالمونتاج ما انزل الله بهم من

سلطان ومساعدين لهم لا تأخذ منهم عمل إلا إذا ضمن الحوافز فى يده قبل العمل. أسلوب العمل فى ماسبيرو وعدد العاملين خلق موظفين ولم يخلق مبدعين،فالعمل الذى يمكن أن يفعله واحد يُجدد له عشرة و فى النهاية يقوم واحد فقط بإنجازه بشق الأنفس وينتظر الآخرين الثواب والدرجة والحوافز فيسود الظلم دون إجادة.

أنا والوزير والناس:

كنت قد آليت على نفسى ألا أكتب عن التلفزيون وبرامجه سلبا أو إيجاباً منذ أن بدأ تعاملى معه حتى لا أُتهم بمحابة أحد أو الهجوم على أحد ولكنى خالفت هذه القاعدة مرة واحدة حين تم العدوان على غزة من قبل إسرائيل، وبدا التلفزيون ببرامجه وتناوله الإعلامى كسيح أمام الهجوم على مصر،لم استطع أن التزم الصمت لأنى فى هذا الموقف لم أكن ملزمة بالحديث عن برنامج أو شخص ولكنى أتحدث عن سياسة إعلامية عامة هاجمت فيها الوزير وقلت إن حين تتخذ لأول مرة مصر موقف سياسى قوى يخذلها إعلام دولة كسيح مسئول عنه وزير وجب حسابه لأنه فاشل فى أهم ما يجب الدفاع عنه .اتهمت الوزير بالفشل ولم أفكر فى أنى أقدم عملا فى التلفزيون فأنا اقول كلمة حق. وفوجئت بصدور قرار بمنعى من العمل فى التلفزيون وأن العاملين داخل المبنى فى ذلك اليوم لم يسلم فيهم أحد على بل يديرون وجوههم عنى ربما خوفا من أن يقال عنهم انهم سلموا على اللى شتمت الوزير.....ثمن قليل تصورت أنى سأدفعه من أجل حرية رأى. ولكن لعجبى اتصل بى الفقى الذى لم أكن التقيته من قبل واعتذر عن قرار اتخذه موظفوه ظنا أنهم بذلك يدافعون عنه وقال أن من حقى أن اعبر عن رأيى فقلت له جملة كان عليها شهود قلت اللهم إجعلنى كلمة حق عند سلطان جائر أو حائر فلما رد بأنه ليس كذلك قلت إن من يحكم ويتحكم فى أكثر من ٤٥ الف نسمة لابد أن يكون حائر وجائر وقد كان كذلك بالفعل.....

والغريب أن بعد هذا الموقف دون أن أدرى صاروا يحكوا عنى داخل المبنى أنى من الأقوياء وحكايات ليس منها شيء حقيقى، وانضم الزملاء الصحفيون فى نسج أرقام أتقاضاها عن برنامج أقدمه وأنى اعمل مستشارة للمسئولين فى التلفزيون وما من شيء مما كان يتردد صحيحاً، فقد كنت فقط معدة لنشرة فنية يومية ثم تلى ذلك تقديم برنامجا

نقدى للصحافة الفنية وهى مهنتى وكان يصعب ان يقدمه أحد غيرى من المتاحين من مذيعات التلفزيون بتوع يا قمر يا جميلة وبرنامج كلام على ورق كان فى المقام الأول برنامج نقدى لاذع ، والاهم أنى كنت شاهدة على نهاية عصر وبداية آخر.

الفتنة الطائفية الغائبة الحاضرة:

كانت مصر تموج طوال سنوات ماضية ومازالت بفتنة دينية غذتها السياسة وأطماعها وجهالة تعليم وعقول مظلمة حصرت علاقة البشر بعضهم ببعض بخانة الديانة وصورة الحجاب ورغم كل ما كان يموج به الشارع ما بدا أن مبنى ماسبيرو يعانى من هذه المشكلة على الأقل فيما كنت أرى، إلى أن حدث موقف أكد لى أن الفتنة دائما نائمة لعن الله من أيقظها. كانت رئيسة التلفزيون نادية حليم سيدة من وجهة نظرى طيبة وإن لم أكن أعرفها من قبل إلا كمذيعة بلا لون أو شخصية تدعوك لتذكر أى من برامجها ، وطبعا كل هذه المواصفات بالتأكيد لا تكفى لكى تقدم رئيسة كفء للتلفزيون ولكنها على كل حال كانت كذلك. وكم ممن تبؤا مناصب فى هذا البلد كانوا اختيار فى غير محله إذاً لم تكن نادية حليم استثناء.ولكن المصيبة كانت فيما اكتشفته من عقل سيدة كانت مسئولة عن جزء من الإعلام . لم أقترب من ناديه حليم طوال فترة عملى فى التلفزيون ولكن كنا نلتقى مصادفة مع تحية متبادلة غير أنى وجدتها على غير عادة

تسألنى فى مرة عن أسمى بالكامل فتعجبت وقلت حنان شومان فقالت أنها طبعا تعرفه ولكنها تريد أسمى الثلاثى فقلت غريبة وذكرت اسمى ثلاثيا يتوسطه عبد العزيز فقالت يعنى مسلمة فزاد تعجبى فردت بأنها منذ أن رأتنى وتصورت انى مسيحية لأنى فى معرض حديث لى أمامها قلت عن أحد القساوسة كلمة أبونا ولما سألت وما الفرق فقالت أصلى مش بحب المسحيين قلت يا نهار أسود سيدة مسئولة كما هو المفروض عن جزء من وعى المجتمع تصنف الناس حسب الدين وهى أيضا ترأس بالتأكيد مسيحيين ومسلمين فكيف تعدل بينهم وهى من تجهر بحب أصحاب ديانة وكراهية آخرين!!!!!

وأيقنت وقتها إن مصر فى خطر وورطة كبرى إن كان بعض كبار مسؤوليها يفكرون بهذا المنطق فما بال نعيب على الدهماء جهلهم.

وإن كان الآن هناك من حديث عن ديمقراطية وانتخاب أصحاب المناصب ،أولى أد

نطلب إجراء اختبارات نفسية وعلمية على من سيتولون المناصب حتى نأمن ألا يكونوا متطرفون قد لا يجاهروا بآرائهم فى التطرف ولكن سيمارسوه بالتأكيد وينقلوه بالتبعية لآخرين.

جريدة اليوم السابع مايو ٢٠١١

obeikan.com

سنوات في قلعة الخطيئة (٤)

تنويه لازم:

أثارت الثلاث مقالات السابقة ردود فعل كنت أتوقعها ليس لأننى أتمتع برؤية ثاقبة ، ولا لأننى قصدت أن أصنعها بكتابتى عن مبنى التلفزيون ،ولكن لأن فى مصر خلال السنوات الأخيرة وبالتالى فى مبنى التلفزيون كمثال مصغر لهذا البلد ،فقدنا كثير من الموضوعية والوسطية حتى فى الخصومة فأنت إما معى أو ضدى و لو كنت معى فأنت صديق ولو كنت غير ذلك فأنت عدو تستحق الرجم. وقد رجمنى البعض من أهل المكان وكأنى كنت اتهمهم بشكل شخصى حين تحدثت عن سلبيات مكان يضم آلاف من البشر على اختلاف نوعياتهم ولكنهم فى النهاية يمثلون نماذج سلبية وإيجابية فى ذلك البلد.لم أكتب عن مبنى ماسبيرو لأكون صديقة أو عدوة لأحد بل يعلم الله انى ما كتبت إلا لكى أضع أمام القارئ نموذج من كثير من مؤسسات مصر الإعلامية وخاصة الحكومية التى تئن من التخمة ابتكار أو تميز،وهو ما أتمنى أن يتغير . والتغيير لا يمكن أن يأتى إلا إذا وضعنا أيدينا على أسباب الداء ولو لم يقتنع أهل ماسبيرو ومصر كلها أن العيب ليس فى حكامهم فقط ولكن فيهم أيضا وأننا جميعا بحاجة لتربية أنفسنا على العمل الجاد والتركيز فيه والتعود على العمل الجماعى وكثير من الخصال التى نفتقدها فعلينا أن ننسى،فلا ثورة ولاعشر ثورات كفيلة بأن تحسن أحوالنا لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيرو ما بأنفسهم.

وأخيرا فإن اكتسبت عداوات مما كتبت فقد ربحت فى مقابلها وهو الأهم احترام لدى لبعض الذين يدركون أن المصريين بحاجة لثورة أكبر على سلبياتهم هم قبل حكامهم

سواء كان الحاكم رئيساً أو وزيراً أو مديراً،وأن الإعلام الذى هو لسان حال الناس يجب أن ينقى نفسه حتى ينقى اللسان والفعل والكلام.فالشكر واجب إذاً لمن هاجم لان هذا يعنى انى نكأت جرحه فصرخ والشكر موصول لمن اختلف أو اتفق ولكن بموضوعية.

الفصل الأخير:

كانت مصر كلها تعانى مما يعان منه أهل ماسبيرو فهم من أهلها، وإن بدا لمن ليسوا منه أنه لسان حال الحكومة وبالتالى فأهله مسئولون ومّوافقون عما يجرى على شاشاته من تأييد لحكم كنا جميعا نعانى منه....ولكنى أشهد بأن النكات السياسية الساخرة من الحكومة التى كنت أسمعها من أهل ماسبيرو سواء من كبار المسئولين أو صغارهم لم تكن إلّا دليلاً على رفضهم لواقع سياسى وإجتماعى رافضين له ولكنهم لا يملكون من مقاومة له إلا النكتة والسخرية منه وهى صفة أصيلة فى تكوين المصريين على مدى العصور.

وجاء يوم ٢٥ يناير وما تلاه من أحداث لم يكن فى حسبان أحد أنها ستحدث بهذه الوتيرة والسرعة ، وحين أتى يوم ٢٨ وأدركت كأم أن ابنى وأبناء آخرين قد يُقتلوا على يد قوات الشرطة وأنهم يطالبون بما أطالب به عمراً قررت أن أكون معهم ولتكن نهايتنا واحدة لو أراد الله وكان ماسبيرو يبث أكاذيب حول ما يحدث فى ميدان التحرير فقررت فى صباح يوم ٢٩ يناير أن اتجه إلى مبنى ماسبيرو المبنى الذى عملت فيه بعض الوقت وأزعم أنى أعرف فيه بعض أصحاب القرار فمشيت على قدمى باكية حتى مبنى ماسبيرو الذى أحاطته القوات من كل مكان ودخلت إليه كمواطنة مصرية تطلب أن تقول الحقيقة لأهله علهم يجهلونها رغم ثقتى من الفشل ولكنى كنت أحلم بالأمل.

وصعدت إلى الدور الثامن على قدمى لأنهم عطلوا المصاعد خوفا من محاولات اقتحام المبنى وبدا المكان مهجورا على غير عادته.

وصلت إلى مكتب رئيس الإتحاد أسامة الشيخ ودخلت عليه فوجدته واضعا يده على رأسه منكسا وجهه فحين رأنى سألنى كيف وصلت وكيف هى أحوال الميدان وحين رجوته بكل ما بيننا من مودة أن ينقلوا الحقيقة على الشاشة قال لى شهادة اشهدها للتاريخ وأمام الله، «أنا أجلس هنا مغلول اليد الوزير وعبد اللطيف المناوى هم من يديرون المعركة لدرجة أننى كدت اضرب المناوى ولكنهم منعونى اصعدى لنوزير ربما سمعك،

أتمنى أن أرحل من هذا المكان الآن إلى التحرير ولكن لا أجد وسيلة للهروب».

صعدت إلى الدور التاسع حيث مكتب وزير الإعلام أنس الفقى وحين دخلت غرفة السكرتارية التى تؤدى لمكتبه وجدت الفقى واقفا يراقب المشهد الذى يجرى أمام المبنى من خلف الشباك وفوجئ بى فسألنى كما سأل أسامة الشيخ عن كيفية وصولى للمبنى فوقفت أمامه باكية كأم أطلب منه ان تظهر الحقيقة على الشاشة لان هؤلاء الذين يقولون عنهم بلطجية منهم ابنى وقد يُقتل ولا أخجل أن أقول أنها المرة الأولى التى أتوسل فيها لمسئول ولكن توسلاتى كانت توسلات مواطنة وأم تخاف على بلدها وابنها معاً.

وأشهد أمام الله أن ما سأنقله حدث دون زيادة أو نقصان حين قال لى الفقى «وهل هؤلاء(مشيرا للمتظاهرين فى الشارع) سيفهمون الحقيقة» فصرخت فيه قائلة نعم فطلب منى أن أعود لبيتى لأنه لن يستطيع حمايتى وما كنت بحاجة لحمايتة بل هو الذى كان بحاجة لحماية من آخرين.

وعدت مرة ثانية للدور الثامن حيث مكتب أسامة الشيخ الذى قال لى ما إن رآنى ألم أقل لكى أنه لا فائدة ونظر إلى شاشة التلفزيون أمامه والتى كانت تظهر عليها قناة العربية مصورة اكتمال احتراق مبنى الحزب الوطنى وقال : «احتراق مبنى هذا الحزب رمز لاحتراق الظلم إبقى طمنينى على مصر».

النهاية وربما البداية :

وكان ذلك آخر عهدى بمبنى ماسبيرو ولم أعد له ثانية، ولكنى كنت أرقبه مثل غيرى مكان ومبنى يحتاج لثورة خاصة ليست كتلك التى يقوم بها المعتصمون فى البهو الداخلى أو خارجه، ولكنه محتاج ليد قوية وعقل راجح وخيال واسع يقر بأنه لا صلاح لهذا المكان إلا اذا تم التخلص من الترهل الوظيفى المتمثل فى آلاف من الموظفين ومن هم محسوبين على أهل الإعلام وما هم بذلك. المكان والبشر محتاجين لإعادة صياغة وتسكين، والأيدى المرتعشة لن تستطيع إصلاح ولكن سيبقى الوضع على ما هو عليه. وأزعم أن من تولى مسئولية المكان وهو د.سامى الشريف غير مؤهل لهذه المهمة فى الظروف العادية فكيف به فى مثل هذا الظرف؟؟؟ فمسئول يخرج بقراراته على الهواء ،ويجرى بينه وبين بعض العاملين معه تراشق مثل ما شاهدناه على الشاشات،ويقبل أن يعلن قراراته على

شاشات أخرى غير التى يديرها وكثير مما نراه ونسمعه منه،لا يدل إلا عن مسئول فى غير محله ولا وقته. والناس على دين حكامهم غالبا فكيف بمكان يرأسه سامى الشريف ويعج أساساً بالآف فى غير محلهم.....

كلمة أخيرة: لم يكن كل ما شاهدته فى تجربتى بماسبيرو خطايا ولا رأيته قلعة للخطيئة ولكن حين يراه ويقول عنه ذلك العاملون فيه فلا أملك إلا أن أتمنى زوال كل قلاع الخطايا فى مصر حتى ولو كان ماسبيرو ونبنى بدلاً منه حديقة تمنحنا هواءً نقياً على صفحة النيل بعد طول تلوث.

جريدة اليوم السابع مايو ٢٠١١

obeikan.com